بسم الله الرحمن الرحيم

المجلد ٦٠

شعارنا الوحيد إلى الإسلام من جديد

# البعث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية جامعة

ذو الحجة ١٤٣٥هـ

أكتوبر ٢٠١٤م

العدد الرابع – المجلد الستون

October 2014

## ندوة العلماء

تأسست ندوة العلماء ودارالعلوم التابعة لها على مبدأ التوسط والاعتدال، والجمع بين القديم الصالح والجديد النافع، وبين الدين الخالد الذي لا يتغير، والعلم الذي يتغير ويتطور ويتقدم ، وبين طوائف أهل السنة التي لا تختلف في العقيدة والمنصوص، وقامت من أول يومها على الإيمان بأن العلوم الإسلامية علوم حية نامية ، وأن منهاج الدراسة خاضع لناموس التغير والتجدد، فيجب أن يتناوله الإصلاح والتجديد في كل عصر ومصر، وأن يزاد فيه، ويُحذف منه بحسب تطورات العصر، وحاجات المسلمين وأحوالهم.

الإمام العلامة الشيخ السيد أبوالحسن علي الحسني الندوي (رحمه الله)

أنشأها

فقيد الدعوة الإسلامية

الأستاذ محمد الحسني رحمه الله تعالى

في عام: ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥م

رئاسة التحرير

سعيد الأعظمي الندوي

واضح رشيد الندوي

مساعدا التحرير:

محمد فرمان الندوي

محمد عبد الله الندوي

المراسلات

البعث الإسلامي

مؤسسة الصحافة والنشر

ص.ب.٩٣ لكناؤ (الهند) الفاكس: ٢٧٤١٢٢١-٢٧٤١٢٣١ — ٠٥٢٢

AL-BAAS-EL-ISLAMI

MAJLIS - E - SAHAFAT -WA- NASHRIYAT P. O. BOX: 93 Talgor Marg, Lucknow. Pin:226007-04 U. P. (India) Fax: 0522-2741221,2741231

Mob: 9889336348 E-mail:nadwa@sancharnet.in

# محتويات العدد

العدد الرابع – المجلد الستون – ذو الحجة ١٤٣٥هـ أكتوبر ٢٠١٤م


**الافتتاحية :**

أسلحة إنسانية جديدة لمحاربة الإسلام — سعيد الأعظمي الندوي — ٣

**التوجيه الإسلامي :**

مكانة خاتم النبيين محمد ﷺ ومهمته — سماحة العلامة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي — ٨

ولن تجد لسنة الله تبديلاً (٢) — الدكتور غريب جمعة — ٢١

**الدعوة الإسلامية :**

بائع من إفريقيا : هزّ أساطين القساوسة وأركان الكنيسة — الأستاذ محمد عبد الكريم الهدوي — ٣٤

الخطابة العربية في الهند ودورها في نشر الدعوة — الباحث محسن عتيق خان الندوي — ٤٤

**الفقه الإسلامي :**

المقاصد الشرعية لأحكام الأغذية والأدوية (٢) — الأستاذ عبد الباسط الندوي — ٦٢

**دراسات وأبحاث :**

بين اللغة والأدب والمعجمية — الدكتور قمر شعبان الندوي — ٧٥

الرحلة تاريخها وأدبها عبر العصور — الأخ عطاء الرحمن الأعظمي الندوي — ٨٨

**من كنوز القرآن الكريم :**

تفسير القرآن الكريم للعلامة السيد سليمان الندوي — محمد فرمان الندوي — ٩٤

**إلى رحمة الله تعالى :**

الحاج عبد الرزاق النصيرآبادي في ذمة الله تعالى — قلم التحرير — ٩٩

الأخ الأستاذ محمود الحسن الندوي في ذمة الله تعالى — * * * * * — ٩٩

الأخ العزيز صلاح الدين الغجراتي إلى رحمة الله تعالى — * * * * * — ١٠٠

الأخت الفاضلة فاطمة غلام محمد إلى رحمة الله تعالى — * * * * * — ١٠٠

بسم الله الرحمن الرحيم

الافتتاحية

# أساحة إنسانية جديدة لمحاربة الإسلام

إذا تعمقنا بشيئ من الجدية في دراسة الأوضاع الحالية التي يعيشها العالم الإسلامي، ويواجهها المسلمون اليوم في كثير من الدول المسلمة وبلدان الأقليات الإسلامية ، توصلنا إلى نتيجة مدهشة ذات طابع يهودي خالص يهدف إلى اجتثاث جذور الدين والعقيدة من القلوب وتجريدها من الثوابت الإيمانية ، وترك هذا الدين مخذولا في ساحة الحياة يتشاءم به الناس جميعاً ويعتبرونه شيئاً ولى دوره وطوي بساطه ، ولم يعد إلا أثراً تاريخياً فحسب ، وتحقيقاً لهذا الهدف الهزيل توصل العقل الغربي إلى إيجاد مسلسلات طائفية بأسماء ولافتات وشعارات ووجوه شتى باسم الإسلام ، لها زعماء وقادة وخلفاء يبدون انتماءهم إلى الإسلام الخالص ، ويولون وجوههم شطر الحرمين الشريفين ، ويدعون بالعودة إلى تاريخ الإسلام النير المشرق ، وقد لا يكون ذلك كله إلا من خلال تصميمات دقيقة بإعداد أناس يتظاهرون بالتمسك الشديد بالإسلام وبعثه من جديد في العالم كله ، وقد شهد الناس في الآونة الأخيرة صوراً من هذه الشكليات المشبوهة التي قام بها مؤسسات سياسية قوية عالمية لتشويه وجه الإسلام وعرضه على الراغبين في الاعتناق به حتى تتبين لهم الحقيقة ويحكموا بما ينفعهم مما يضرهم .

كان السبب الأصيل وراء هذا الواقع أن موجة الاهتداء إلى الإسلام باتت عارمة على المستوى العالمي ، وتخوف الغرب مما إذا هي غشيت سكان دول الغرب واكتسحت مناطق ذات أهمية منها لأسفرت عن نتائج خطيرة لما يترصدون من السيطرة الكاملة على العالم البشري وآماله وأفكاره

بواسطة العولمة التي تم تصميمها مسبقاً لتوحيد الفكر الإنساني حضارياً واقتصادياً وسياسياً بحيث لا يتخلله منفذ شخصي أو إقليمي يتولى إفساد هذه المنظومة الحضارية الاقتصادية ، ويعلن عن توجيهات تلمودية أو إنجيلية وقرآنية ، رغم أن دورها قد ولى من غير رجعة .

وتحقيقاً لهذا الغرض الهزيل وتفادياً من التدخلات الدينية والشرائع السماوية والأرضية كان لا بد من إقامة حصار حول كل بادرة تزاحم فكرة تحويل البشر كلهم إلى فئة واحدة والعالم إلى قرية تحكمه فكرة واحدة يتزعمها رجال من الغرب والشرق .

فكان أخوف ما يخاف من وقوع هذه الفكرة فريسة اليأس والتنازل ، هو الإسلام الذي لا يزال ينال طريقه نحو المجتمعات البشرية العالمية ويعد أهلها بحياة مطمئنة سعيدة ورغيدة بالتأكيد (إِنَّ ٱلَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلاً خَالِدِينَ فِيهَا لاَ يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً) فقام ناس ممن تربوا على أيدي سادتهم برفع عقيرتهم ضد أعداء الإسلام ،. وأعلنوا بأنهم هم القدوة الكاملة للدين الحنيف ، وهم يمثلونه الآن بجميع مناحيه ، ومن غير خوف لومة لائم ، دون أن يبالوا بالمواقب مهما كانت وخيمة . فقامت هناك جماعة تدعي بالإسلام ولكن تمارس من شنائع الأعمال ما ليس من الإسلام في شيئ ، وأخرى تمارس المحرمات والمعاصي بكل وقاحة، وأخرى تدعي بالخلافة و لا تحفل بسفك دماء الناس من غير تردد ، وهكذا دواليك ، الواقع الذي شوه رسالة الإسلام وصورة المسلمين في أعين الناس ، وأصبح الناس يتعوذون بالله مما إذا كان الإسلام هذا هو الذي يتظاهر به هؤلاء الممثلون الذين يتفاعلون مع ما يدعى بالإرهاب ، رغم أن الله تعالى يأمر عباده المؤمنين بالدخول في السلم من جميع الوجوه ، وينهاهم عن اتباع خطوات الشيطان الذي هو عدو مبين للإنسان ( يا أَيُّهَا ٱلَّذِينَ آمَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلاَ تَتَّبِعُواْ خُطُوَاتِ ٱلشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ

عَدُوٌّ مُّبِينٌ) إذن ليس الإسلام إلا دين السلم والسلام والأمن والعافية ، ذلك الذي أنقذ الإنسانية المعذبة بشتى وسائل التعذيب التي اخترعها شياطين الجن والإنس ، والتاريخ يزخر بأمثلة التعذيب والظلم والإرهاب والخوف والألم منذ أن عمر الله سبحانه العالم بالإنسان ، ولمقاومة نفسية الظلم والعدوان فيه أرسل الله تعالى جماعات من الأنبياء والرسل من آدم عليه السلام إلى خاتم النبيين محمد صلى الله عليه وسلم إلى الناس كافة ، وعن طريقهم اهتدى الناس إلى ساحة الحب والإيمان والنصح والخير ، وتوقفوا كل ما يؤدي إلى شرور وفتن وفساد في الأرض ويحول دون أداء مسئولياتهم نحو الله تبارك وتقدس ، ونحو المجتمعات البشرية ، ( يَاأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) الحجرات الآية ١٣

من ثم كانت رسالة الإنسان وهدفه الجليل التآخي والتناصح ونشر الحب والأمن ، والعيش مع السلم من خلال الخضوع أمام حكم الله وقضائه وتنفيذ تعاليم الكتاب والسنة وشريعة الإسلام بكاملها ، وقد تقيدت أمة الإسلام برسالتها التي أكرمت بها عن طريق نبينا العظيم صلى الله عليه وسلم ودينه الكامل الشامل الخالد فعاشت في سعادة وقادت العالم البشري في ضوء سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وحياة الصحابة الكرام والسلف الصالح، ولا شك أن نزغة الشيطان وذريته تربصت بالأمة الدوائر ، وتولت تخطيط الفساد في الأرض وسفك الدماء وإحداث القلاقل وتوتير العلاقات بين بني الإنسان ، الأمر الذي خضع له المغرضون والمفسدون وتعرضت أمة الإسلام في فتراتها المختلفة للكذابين والمحتالين ممن حاولوا السيطرة على المجتمع الإسلامي ، وعلى قيادة المسلمين باسم الإسلام وشريعته ، ولكنهم سرعان ما فشلوا في نواياهم السيئة وأحلامهم الكاذبة مع تبين الحقائق التي كانوا يلبسونها على الناس ويستغلون الانتماء إلى

الإسلام لإسدال الستار على وجوههم الكالحة . ( يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَافِرُونَ) الصف الآية ٨

وقد تمثلت اليوم مثل هذه الوجوه في مجتمعات وبقاع متعددة من العالم الحديث وبلدان المسلمين ، وسوف لا يكون ذلك إلا سلسلة من التشكيك الذي يصنعه مناوئ الإسلام وأعداؤه ، ويخلعون عليه لباس الدين الإسلامي ويتظاهرون بأنهم أُخرجوا لصيانة الدين الإسلامي وإنقاذه من الضلال والانحراف والتشويه ، وهم يتبنون لذلك بالسلوكيات التي لا علاقة لها بالإسلام وبالسيرة التي لا تمت إليه بأي صلة ، بل ويقومون بأشنع ما يضاد تعاليم الإسلام وشريعته ، مذكرين للناس بأنهم دعاة وقادة وزعماء المسلمين ، حتى إذا رأوهم وما يستبيحون لهم من الطريقة الوحشية وما يتظاهرون به من إجرامات القتل والفتك وسفك الدماء والإفساد في الأرض يكرهون أفاعيلهم ، ويتنفرون من الدين الذي يبدون انتماءهم إليه ، ويبغضونهم ويبغضون دينهم ، وهكذا يتحقق الغرض الذي أراده المغرضون من إعداد هذا الفوج المشبوه باسم الإسلام والمسلمين ، وقد تعدى بعضهم إلى حد أنه استغل مصطلحات الإمامة والقيادة الإسلامية ونفذها على نفسه وأتباعه ولم يتلكأ في اقتراف ما لا يرضاه البهائم والأنعام فضلاً عن بني آدم أفلا يصدق على أمثال هؤلاء قول الله تعالى : ( لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَآ أُوْلَـٰئِكَ كَٱلأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَـٰئِكَ هُمُ ٱلْغَافِلُونَ) الأعراف الآية ١٧٩

إذا كانت هناك أمة مغضوب عليها وهي تعادي الإسلام والمسلمين فلا ريب أن شعورها العدائي بهذا الدين الحنيف لا يكاد ينتهي ويتبدّى ذلك في صور وأشكال منوعة بين حين وآخر ، وهي لا تزال تهتم بما هو أسرع فعالية في توقيف نشاط هذا الدين وتثبيط همم الدعاة والقادة بكل طريق ممكن ، وقد لا ينسى التاريخ الديني ما أجرته هذه الأمة من تجارب سريعة

ذات تأثير عميق في مجال هدم قلعة الإسلام وتشويه تاريخه وسد طريقه ، والحيلولة دون نشاطاته العملية والدعوية ، وهي لا تفتأ تبحث عن مخططات سرية أو جهرية تقتلع جذوره ، وتحرف تعاليمه ، وتغير كتابه ، وتشوه وجهه المشرق ، ولولا أن الله سبحانه كان قد تولى صيانته من كل عدوان ومن كل تحريف وتغيير لكان يمكن أن يكون لها تأثير في الجهود التي تبذلها في هذا السبيل ، ولكن الله تعالى أعلن مدوياً مجلجلاً فقال : ( وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لا يَأْتِيهِ ٱلْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ) فصلت الآية ٤٢

فليعلم الذين لا يعلمون أن هذا الدين هو المنهج القويم للحياة والكون ، وأنه قد بلغ من الكمال والخلود والشمول ما لم يبلغه دين ولا شريعة ، ولا أدركه منهج من مناهج الحياة قديماً وحديثاً ، وقد كان الإعلان عن ذلك عاماً وقائماً يقرع الآذان ويحكم الجنان في كل حين وآن ويفيد بإتمام نعمة الإسلام التي ليس فيها نقص ولا زيادة في أي زمن من الأزمان ، فالذين يطبلون بتمثيلهم هذا الدين ، ويرفعون لذلك شعاراً كاذباً طالبين من الناس أن يقروا بإمامتهم ولا ينظروا إلا إليهم في جميع المشكلات والقضايا فليقيموا على إمامتهم دليلاً عملياً حتى يتبعهم الناس في القول والعمل ويسيروا وراءهم بإخلاص وثبات . (لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلاَةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَاةَ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ) البينة الآية ٥

وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنه قوله : (اليوم أكملت لكم دينكم) وهو الإسلام ، أخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم والمؤمنين أنه قد أكمل لهم الإيمان فلا يحتاجون إلى زيادة أبداً ، وقد أتمه الله فلا ينقصه أبداً ، وقد رضيه الله فلا يسخطه أبداً . (تفسير ابن كثير)

سعيد الأعظمي الندوي

سعيد الأعظمي الندوي

٢٤/رمضان/١٤٣٥هـ ٢٣ يوليو ٢٠١٤م

# مكانة خاتم النبيين محمد ﷺ ومقامه

بقلم : سماحة العلامة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي
تعريب : محمد فرمان الندوي

من مقاصد البعثة المحمدية :

ذكر الله تعالى مقاصد البعثة المحمدية الرئيسية الأولى و فوائدها الأساسية الكبرى في عدة آيات من القرآن الحكيم، فقال : ﴿كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولاً مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ﴾ (سورة البقرة الآية/١٥١) وقال : ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (سورة آل عمران الآية/١٦٤) وقال : ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ (سورة الجمعة الآية/٢) .

ومهمة تهذيب الأخلاق وتزكية النفوس تشغل مكاناً كبيراً في دائرة الدعوة النبوية ، ومقاصد البعثة المحمدية ، وفي القرآن ما يدل على أن الأخلاق الفاضلة والآداب الإسلامية هي من أهم مظاهر الحكمة ، فإن القرآن قد أطلق لفظ الحكمة على هذه الأخلاق والآداب بعد ما ذكر رؤوسها وأصولها في سورة الإسراء ، فقال : ﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ﴾ (سورة الإسراء الآية/٣٩) وقال قبل أن يذكر تعاليم لقمان الخلقية : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ (سورة لقمان الآية/١٢) وقال بعد ما ذكر الإنفاق في سبيل الله من غير مِنّ ولا أذى ، والتوكل على الله في عدم الخوف من الفقر : ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُو الأَلْبَابِ﴾ (سورة البقرة الآية/٢٦٩) وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم هذا الفرض العظيم الذي كانت له البعثة، بكلمة الحصر ، فقال : "إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق" (١) ، وقد كان خير مثال له وأفضل أسوة فيه ،

(١) رواه مالك في المؤطا بلاغا عن النبي ﷺ ، قال ابن عبد البر هو متصل من وجوه صحاح عن أبي هريرة وغيره ، وقد رواه الإمام أحمد في المسند بسند صحيح عن أبي هريرة مرفوعاً بلفظ "إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق" .

فقد قال القرآن : ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (سورة القلم الآية/٤) وسئلت عائشة رضي الله عنها عن خلقه صلى الله عليه وآله وسلم، فقالت: "كان خلقه القرآن"(٢) .

وشرح العلامة السيد سليمان الندوي رحمه الله تعالى معنى الحكمة بالأخلاق الفاضلة بصفة خاصة ، وإليه ذهب الشيخ السيد أبوالحسن علي الحسني الندوي رحمه الله تعالى ، وهذا المعنى يتجلى مما صرح به النبي صلى الله عليه وسلم من مقاصد بعثته، وما قالته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في خلق النبي صلى الله عليه وسلم .

وكانت هذه الحكمة والتزكية من أعظم ثمرات الصحبة النبوية ومجالسته – ﷺ – وعشرته ، فنشأ في أحضانه جيل تحلى بأفضل الأخلاق وأكرم الصفات ، وتجرد عن رذائل الأخلاق ، ومهلكات العادات ، وذمائم الصفات ، وغوائل النفوس ، وبقايا الجاهلية ، ومغالطات الشيطان ، وقد شهد القرآن باستقامة قلوبهم ، وصلاح نفوسهم ، ووصولهم إلى ذروة تهذيب الأخلاق وتزكية النفوس ، فقال : ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ۞ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (سورة الحجرات الآيتان/٧ – ٨) ، وشهد لهم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بقوله: "خير الناس قرني" (٣) ، وشهد لهم أحد رفاقهم (عبد الله بن مسعود رضي الله عنه) بقوله البليغ الوجيز : "أبر الناس قلوباً ، وأعمقهم علماً ، وأقلهم تكلفاً" ، فقد كانوا زرع الإسلام ، وغرس النبوة ، وصنائع التربية النبوية ، والتزكية المحمدية .

### مدرسة دائمة ومصنع للرجال :

ولما انقطعت هذه الصحبة الكريمة، ولحق الرسول صلى الله عليه

---

(٢) رواه مسلم في صحيحه من حديث عائشة رضي الله عنها .

(٣) رواه البخاري .

وسلم بالرفيق الأعلى كان القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والسيرة العطرة يملأن هذا الفراغ، وكان هو "الفقه" و"الحكمة" و "الطب النبوي" لأمراض القلوب وغوائل النفوس، ومصائد الشيطان .

**ترياق لسموم غوائل النفس وأمراض القلب :**

وهنا مجموعة من آيات هي تعليمات أساسية لتهذيب الأخلاق ، وتزكية النفوس ، وترياق لسموم غوائل النفس ، ومكايد الشيطان ، وأمراض القلوب ، لا يعدله ترياق آخر في القوة والتأثير، فإنها تنزيل من حكيم حميد، وشرع من فاطر النفوس، وقد قال : ﴿أَلاَ يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (سورة الملك الآية/١٤) ، من أخذ نفسه بها ، وراقبها في جدٍّ وصرامة ، وفي إخلاص وأمانة ، بلغ الغاية من تهذيب الأخلاق ، وتزكية النفس ، وإذا أخذ بها فرد سعد وتزكى ، وإذا أخذ بها مجتمع كان مجتمعاً مثالياً .

**الإخلاص :**

﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ (سورة البينة الآية/٥) ، ﴿أَلاَ لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ (سورة الزمر الآية/٣) .

**التوبة المخلصة:**

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا﴾ (سورة التحريم الآية/٨) .

**الصبر والعفو :**

﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾ (سورة الشورى الآية/٤٣) .

**مراقبة الأمور :**

﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ (سورة الحديد الآية/٤) .

﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ (سورة غافر الآية/١٩) .

**التقوى والسداد في القول والعمل :**

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ (سورة آل عمران الآية/١٠٢) .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا﴾ (سورة الأحزاب الآية/٧٠) .

**اليقين والتوكل :**

﴿وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (سورة ابراهيم الآية/١١) .

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لاَ يَمُوتُ﴾ (سورة الفرقان الآية/١٨) .

**الاستقامة :**

﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾ (سورة هود الآية/١١٢) .

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ ۞ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (سورة الأحقاف الآيتان/١٣ – ١٤) .

**الاعتصام بالكتاب والسنة :**

﴿فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ (سورة النساء الآية/٥٩) .

﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ (سورة الحشر الآية/٧) .

**حب الله ورسوله :**

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ (سورة البقرة الآية/١٦٥) .

﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ (سورة التوبة الآية/٢٤) .

**التعاون على البر والتقوى :**

﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (سورة المائدة الآية/٢) .

**الأخوة الإسلامية :**

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (سورة الحجرات الآية/١٠) .

أداء الأمانة :

﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا﴾ (سورة النساء الآية/٥٨).

الإصلاح بين الناس والعمل المفيد :

﴿لاَ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ (سورة النساء الآية/١١٤) .

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ (سورة الأنفال الآية/١) .

الملاطفة والتواضع :

﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (سورة الحجر الآية/٨٨) ، ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلاَ تَقْهَرْ ۞ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلاَ تَنْهَرْ﴾ (سورة الضحى الآيتان/٩ – ١٠) .

اتباع أسوة الرسول :

﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (سورة آل عمران الآية/٣١) .

الخوف والرجاء :

﴿وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ (سورة البقرة الآية/٤٠) .

﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ (سورة الزمر الآية/٥٣) .

﴿فَلاَ يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾ (سورة الأعراف الآية/٩٩) .

﴿إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ (سورة يوسف الآية/٨٧) .

الزهد في الدنيا والتقلل منها :

﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلاً﴾ (سورة الكهف الآية/٤٦) .

﴿وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (سورة العنكبوت الآية/٦٤) .

الإيثار على النفس :

﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ (سورة الحشر الآية/٩) .

﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ (سورة الدهر الآية/٨) .

تحريم الكبر والفساد :

﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لاَ يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (سورة القصص الآية/٨٣) .

حسن الخلق وتملك النفس :

﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾ (سورة آل عمران الآية/١٣٤)

﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ (سورة الأعراف الآية/١٩٩) .

صحبة خيار الناس :

﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ (سورة الكهف الآية/٢٨) .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ (سورة التوبة الآية/١١٩) .

حق المسلم على المسلم :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلاَ نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلاَ تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلاَ تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (سورة الحجرات الآية/١١) .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلاَ تَجَسَّسُوا وَلاَ يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾ (سورة الحجرات الآية/١٢) .

﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾ (سورة الأحزاب الآية/٥٨) .

﴿لَوْلاَ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا

هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ﴾ (سورة النور الآية/١٢) (٤) .

**تهذيب الأخلاق وتزكية النفس :**

نزل القرآن الكريم وهو يحتوي على تعاليم جامعة للإنسان على اختلاف أفراده وطبقاته إلى يوم القيامة ، وسمي بـ "الكتاب" ، قال الله تعالى : ﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ ❖ مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ﴾ (سورة آل عمران الآيتان/٣ – ٤) .

فيتجلى منه أن خالق الكائنات والإنسان قد قرر نظام الأخلاق والسلوكيات للإنسان أشرف الخلائق وأرفعها مقدرة ، وخيَّر الإنسان بين اختيارها ورفضها ، ليعرف مدى أخلاقها ، فإذا اختار الأخلاق الفاضلة بعيداً عن الأخلاق السيئة ، فعليه أن يتذكر في نظام الأخلاق نعم الله تعالى وآلاءه ، ويشكره قولاً وعملاً ، لأنه وفر له وسائل الحياة التي يتمتع بها الإنسان ، وقدر له وسائل العلاج لصحته ونظام بدنه ، فالشكر لله والامتنان له يتنوع ويتعدد ، وقد ذكره الله تعالى في القرآن مراراً وتكراراً ، وأوضحه إيضاحاً ، بحيث صار القرآن هدىً للناس جميعاً ، قال الله عزوجل في سورة البقرة ، وهي سورة ثانية وكبيرة في القرآن : ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ ❖ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ❖ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ❖ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (سورة البقرة الآية/١ – ٥) ، وقال في موضع آخر : ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ❖ وَأَنَّ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ (سورة بنو إسرائيل الآيتان/٩ – ١٠) .

يظهر من الآيات المذكورة أعلاه عدة أمور :

---

(٤) راجع للتفصيل: العقيدة والعبادة والسلوك في ضوء الكتاب والسنة والسيرة النبوية للعلامة الندوي: ١٨٢- ١٨٩) .

١- أن يكون قلب الإنسان وذهنه مؤمناً بنعم الله تعالى ، ومقراً بعظمته وكبريائه ووحدانيته .

٢- أن يعمل الإنسان بالتوجيهات التي أنزلها الله تعالى في الأخلاق والسلوكيات .

٣- أن يؤمن بالآخرة التي تكون بعد هذه الدنيا ، وينحصر الفوز فيها على ما عمل في هذه الدنيا .

قال الله تعالى : ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا ۞ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ۞ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِنْ تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُورًا ۞ وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلاَ تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ۞ إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ۞ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُلْ لَهُمْ قَوْلاً مَيْسُورًا ۞ وَلاَ تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلاَ تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا ۞ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ۞ وَلاَ تَقْتُلُوا أَوْلاَدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاَقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ۞ وَلاَ تَقْرَبُوا الزِّنَا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً ۞ وَلاَ تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلاَ يُسْرِفْ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ۞ وَلاَ تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً ۞ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً ۞ وَلا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولاً ۞ وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً ۞ كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ۞ ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلاَ تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا

آخَرَ فَتُلْقَى فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا﴾ (سورة بنو إسرائيل الآيات/٢٣ – ٣٩).

ذكر القرآن الكريم مؤكداً على إصلاح العقائد ، أمراض المجتمعات الإنسانية الأخرى أيضاً ، التي كانت منتشرة في الأمم الماضية على اختلاف مستوياتها ، فمثلاً كانت قوم عاد مشركة وعالية في الأرض، وثمود مشركة ومعتزة بمخترعاتها ومصابة بأمراض أخرى ، وقوم لوط مشركة ومرتكبة عمل اللواطة والفاحشة، وقوم مدين مشركة ومطففة في الكيل والوزن، وخائنة في التعاملات التجارية، وكان فرعون يعتبر نفسه إلهاً ، ويزدري الأمم الأخرى فيذلهم ويستعبدهم ويعلوهم علواً كبيراً .

أضِف إلى ذلك الأمراض التي ستنشأ في الناس ، لفت القرآن انتباههم إليها ، وذكر ما أرشد إليه الأنبياء الآخرون من التوجيهات والإرشادات ، ومنها : المساواة ، والاجتناب عن الكبر ، وإتلاف الحقوق ، وصيانة النفس الإنسانية ، وعدم أخذ مال الغير بدون إذن منه ، والتواضع ، والتعامل الحسن ، والبعد عن الفخر والمباهاة غير المشروعة ، والتحلي بمكارم الأخلاق ، وبر الوالدين ، وشفقة الوالدين على الأولاد ، وتوفير المنافع والتسهيلات ، وتوطيد العلاقات الأسرية ، وأداء الحقوق والواجبات ، التي تعود على الإنسان من جهات شتى ، وقمع الظلم والعدوان ، وتذكير المثل العليا ، واختيار الأخلاق العالية النبيلة ، فقد ورد ذكر هذه الأمور اللازمة في الآيات المذكورة أعلاه من سورة بني إسرائيل ، وتكرر ذكرها في سورة لقمان :

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَنْ يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ۞ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ۞ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ ۞ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا

كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ❖ يَا بُنَيَّ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَاوَاتِ أَوْ فِي الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ❖ يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلاَةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ ❖ وَلاَ تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ❖ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾ (سورة لقمان الآيات/١٢ – ١٩).

وورد في سورة الحجرات : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلاَ نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلاَ تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ وَلاَ تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ❖ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلاَ تَجَسَّسُوا وَلاَ يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ ❖ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (سورة الحجرات الآيات/١١ – ١٣) .

وورد في سورة المؤمنون : ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ❖ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاَتِهِمْ خَاشِعُونَ ❖ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ❖ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ❖ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ❖ إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ❖ فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ❖ وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ❖ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ❖ أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ه الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (سورة المؤمنون الآيات/١ – ١١) .

## توجيهات قرآنية في حسن السيرة والأخلاق الحسنة

### الأمراض الاجتماعية وعلاجها :

الأمراض الاجتماعية عبارة عن نقص في الإرادة وضعف في العقل ، فإذا ضعفت هذه القوة مال صاحبها إلى السيئات ، وانهارت المجتمعات ،

وأصيبت بالخسارة الروحية والمادية أفراداً وجماعات ، وإذا عمت هذه السيئات في قوم تسببت إلى إهلاك الحرث والنسل .

الإسلام منهج حياة كامل ، فقد ذكر القرآن الكريم الأمراض الاجتماعية في مواضع مختلفة بغاية من التفصيل ، وقدم لها علاجاً ناجعاً ، قال الله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنْ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ (سورة النحل الآية/٩٠) .

وزعت الأمراض الاجتماعية في هذه الآية في ثلاثة عناوين كبيرة ، وهي : ١ – الفحشاء مثل المجون وعدم الحشمة ، ٢ – المنكرات ، التي تتأثر بها الحياة الاجتماعية بكاملها ، ٣ – البغي ، مثل السرقة ، والقتل ، والنهب والخيانة والغدر مع العباد والبلاد .

هذه هي أمراض خلقية ، اعتبرتها كل ديانة وكل مجتمع إنساني قبيحة على حد سواء ، وهي سيئات وفواحش ، وهذه السيئات مكروهة في الإسلام ، وممقوتة لدى الإنسان ، فإذا أبيحت زالت حقوق الناس فيما بينهم ، ولا تسلم النفوس والأموال حتى الأعراض والحرمات .

نظراً إليه قدم القرآن الكريم نظاماً وسطاً للأخلاق ، فالأخلاق التي هي محبوبة عند الناس تعرف بالفضائل ، والتي هي مكروهة عندهم تعرف بالرذائل ، أما الفضائل التي ذكرها القرآن في باب الأخلاق فهي كما يأتي :

**التقوى :**

التقوى أي العفة ، العدل ، العفو ، التواضع ، والاقتصاد ، الصدع بالحق ، المنة ، وصلة الرحم ، وإذا فقدت هذه الخصال أصيبت المجتمعات بالأمراض الاجتماعية : وهي الحرص ، وعدم الحياء ، والإسراف ، والكذب ، والرشوة ، والميسر ، والتطفيف في الكيل والوزن ، والغيبة ، وقد عبر القرآن الكريم عنها بالفحشاء والمنكر ، وورد حلها وعلاجها في

الآية : ﴿إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنْ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ (سورة العنكبوت الآية/٤٥) .

**الحياء :**

وعلاج الوقاحة : الحياء ، والاجتناب كل الاجتناب من الفواحش ، والصدع بالحق بكل جراءة ، وهو علاج قرآني للأمراض الاجتماعية ، الحياء هو الابتعاد عن الفواحش والمنكرات ، إذا فقد الحياء الذي يمنع الناس من الأمراض الاجتماعية ، فليصنع الإنسان ما شاء ، الحياء ينشر الخير ، والصلاة مصدر الحياة تنهى الإنسان عن الفحشاء والمنكر .

**العدل :**

العدل حاجة كل جزء من أجزاء الحياة ، إذا فقد العقل وتضاءلت الحسنات في تيار العواطف اضطر الإنسان إلى العدل والإنصاف ، وبعض السيئات تحرم الإنسان رحمة الله تعالى ، وبعضها تحرمه حب الله تعالى ، وبعضها تخلو من رضا الله تعالى ، مثل الشرك ، وهو فساد اجتماعي ، لن ينال مرتكبه رضا الله تعالى ، بل لا يغفر الله الشرك ، ويكون المشرك محروماً من الله تعالى دائماً ، ومن معجزة الإسلام أنه رفض الآلهة الكاذبة وأخرجها من معابد العالم ، ونسخ عبادة الآلهة الباطلة وأعلن عن عبادة إله واحد .

**العفو :**

وبيَّن القرآن الكريم علاجاً آخر للأمراض الاجتماعية ، وهو ما يلي : ﴿وَلا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (سورة حم السجدة الآية/٣٤) ، أي لا مساواة بين الحسنة والسيئة ، إذا أساء أحد إليك فادفع بالتي هي أحسن ، لأن الإعراض عن الجاهلين والإحسان إليهم حسنة ، ولا يضيع الله أجر المحسنين ، ولأن الحسنة مبعث أجر وثواب ، وتذهب السيئات من الإحسان والسلوك الحسن ،

وتزول الأمراض الاجتماعية من أعمال الخير ، فالحاجة إلى العفو والصفح كل حين ، إن الحسنات يذهبن السيئات ، والإحسان إلى أحد صفة تغطي كل حسنة ، وعلاج لجميع الأمراض ، فالحسنة مقابل السيئة أكبر علاج من الأمراض الاجتماعية ، قال الله تعالى : ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ (سورة هود الآية/١١٤) وقد ضرب الله في القرآن الكريم مثال اختيار الحسنات وتزيين الحياة بالأعمال الصالحة بعنوان : عباد الرحمن : ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاماً ❖ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَقِيَاماً ❖ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً ❖ إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرّاً وَمُقَاماً ❖ وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً ❖ وَالَّذِينَ لا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ وَلا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً﴾ (سورة الفرقان الآيات/٦٣ – ٦٨) .

أما الصفات الأخرى التي ترفع الأمراض الاجتماعية فقد ذكرها القرآن الكريم بغاية من التفصيل ، وهي (١) التقوى ، (٢) الإخلاص ، (٣) التوكل ، (٤) الصبر والشكر .

التقوى طهارة القلب ، والعمل الصالح ، والإخلاص هو الأمانة ، والتوكل هو الثقة بالله تعالى ، والصبر هو الغلبة على جميع القوى الشيطانية ، والتقوى تنشئ في الإنسان عظمة الذات وتوقظ ضمير الإنسان ، فاعتبرت التقوى مقياس الفضيلة والشرف ، والإخلاص ابتغاء رضا الله وامتثال أوامره ، وإذا نشأ في الإنسان الإخلاص والتقى ، طهر المجتمع كله من الأمراض الاجتماعية ، لأن من خاف الله لايغدر ، ولا يتلف الحقوق ، ولا يخالف قوله عمله ، ولا يتغافل عن مسئولياته ، وكذلك التوكل والصبر أساسان للنجاح ، فالصبر على المصائب ، ومواجهتها بكل جراءة واستقامة وقهر النفس مفتاح رقي كل بلاد وملة .

# ولن تجد لسنة الله تبديلاً

(الحلقة الثانية الاخيرة)

بقلم : الدكتور غريب جمعة
(جدة المملكة العربية السعودية)

ها نحن أولاء أخي القارئ ونسعد بلقائك في هذه الحلقة كما وعدناك من قبل لنستمع معاً إلى حديث الوثائق ، حتى تعرف مبلغ عفن السلوك وتفسخ الأخلاق وبيع النفوس للشهوات البهيمية عند قوم يفترض فيهم أنهم يأمرون بالفضيلة وينهون عن الرذيلة ، حسب زعمهم ، ولكنهم ذبحوا الفضيلة على مذابحهم في كنائسهم ، ثم سولت لهم أنفسهم الإساءة إلى الإسلام وإلى رسوله ﷺ واتهامه بما هو فيهم أصلاً حتى يحكموا خداع قومهم ، فلا يرفعون رأساً إلى الإسلام أبداً .

ولكنهم قد مضت سنة الله تبارك وتعالى بأنه لهم بالمرصاد فهو جل جلاله يفضحهم في كل مرة ويخزيهم ويجري قدره فيهم كما مر بك آنفاً .

ولا يعنينا أن يعتبروا أو لا يعتبروا ، وانما الذي يعنينا ونلح عليه ونلحف في الإلحاح هو : وعي المسلمين وغيرتهم على دينهم وعلى نبيهم صلى الله عليه وسلم وأن يتناولوا هذه القضايا تناولاً علمياً وإعلامياً وثقافياً بكل وسيلة يكشف زيف هذه الادعاءات ويسقط الأقنعة عن وجوه أصحابها الكالحة!!! ويجدد ثقة المسلمين بأنفسهم وبدينهم ويلقم القوم أحجاراً في أفواههم .

إن أية هيئة مسيحية في العالم لا تستطيع أن تجاهر بالهجوم على حاخام يهودي في أول درجة من سلم الترتيب الإداري أو الكهنوتي (سمه ما شئت) لأنها تعلم علم اليقين أن الإعلام اليهودي سيشعلها ناراً من حولها وسوف يقيم الدنيا ولا يقعدها ، أما المسلمون فهم يعرفونهم جيداً لذلك لا بأس من الاساءة والهجوم على دينهم وعلى نبيهم ، ولن يكون منهم إلا صياح من فوقه صياح من فوقه تظاهر ثم يتبخر كل ذلك ويعودون لتسمية أنفسهم على طعامهم وشرابهم والترفيه عن أنفسهم في مراتع لهوهم بالسفر إلى

بلادهم .

و دعنا نتساءل أخي القاري : متى يفرض المسلمون احترامهم على العالم ؟

ولا تحسبن أخي القاري أنني أقلل من شأن جهود جند الله المخلصين ... كلا وألف كلا ، ولكني أقول : إن رد فعل المسلمين في مثل هذه الأمور لا يكون على المستوى المطلوب الذي يجعلهم يفكرون ألف مرة ومرة في العودة إلى هذه الحماقات .

وهيأ بنا لنسمع ما تقوله الوثائق :

البابا بنديكتوس السادس عشر يستقيل في سابقة في تاريخ الكنيسة الكاثوليكة المعاصرة .

أعلن الناطق الرسمي باسم الفاتيكان أن البابا بنديكتوس السادس عشر سيستقيل من منصبه في ٢٨ فبراير/ شباط ، وقال الأب فيديريكو لومباردي في إعلان غير مسبوق في تاريخ الكنيسة الكاثوليكية : إن "البابا أعلن أنه سيتخلى عن مهامه في الساعة ٠٠ — ٢٠ (٠٠ — ١٩ تغ) في ٢٨ شباط/فبراير ، وعندها تبدأ مرحلة الكرسي الشاغر" .

فرانس ٢٤ (فيديو) .

برقية (Text) .

بنديكتوس السادس عشر وسلستين الخامس وغريغوري السابع ثلاثة بابوات تخلوا عن مناصبهم .

استقالة البابا "فاجأت" العالم لكنها أثارت "احترامه" .

أعلن الباباب بنديكتوس السادس عشر الاثنين استقالته في خطاب ألقاه باللاتينية خلال مجمع كرادلة منعقد في الفاتيكان ، في خطوة غير مسبوقة في تاريخ الكنيسة الكاثوليكية .

وقال الأب فيديريكو لومباردي إن "البابا أعلن أنه سيتخلى عن مهامه في ٢٨ شباط/ فبراير ، وعندها تبدأ مرحلة "الكرسي الشاغر" .

وأضاف المتحدث للصحافيين "نتوقع أن يكون لدينا حبر أعظم جديد قبل عيد الفصح "المصادف في ٣١ آذار /مارس ، مشيراً إلى أن مجمع

الكرادلة سينعقد في الأيام ال١٥ إلى العشرين التي تلي الاستقالة .

ومن المرتقب أن يتوجه البابا الذي لن يشارك في مجمع الكرادلة ، الى دير في حرم الفاتيكان بعد الإقامة لفترة في المقر البابوي الصيفي قرب روما .

نبذة عن البابا بنديكتوس السادس عشر ١١/٠٢/٢٠١٣ .

وأوضح لومباردي أن البابا بنديكتوس السادس عشر "لن يكون له أي دور في مجمع الكرادلة" .

وسينصرف بعد مغادرة مهامه "لحياة من الصلوات" مؤكداً أن قراره "لم يكن فجائياً ، وإنما حضر له" .

وقال البابا (٨٥/عاماً) في خطابه "بعد مراجعة ضميري أمام الله توصلت إلى قناعة بأنني لم أعد قادراً بسبب تقدمي في السن على القيام بواجباتي على أكمل وجه على رأس الكنيسة" الكاثوليكية .

وأضاف "في عالمنا اليوم الذي يشهد تغيرات متسارعة وتساؤلات مهمة متعلقة بالإيمان لرئاسة الكنيسة الكاثوليكية يجب التمتع بالقوى الجسدية والعقلية اللازمة" .

وخلال ولايته البابوية التي استمرت ثماني سنوات ، واجه البابا أخطر فضيحة تحرش جنسي بالأطفال التي سببت أزمة في الكنيسة المعاصرة .

والعام الماضي واجه بنديكتوس السادس عشر داخل جدران الفاتيكان ، فضيحة تسريب وثائق سرية أدت إلى إدانة كبير خدمه باولو غابر ييلي ، وكان لخيانة أحد المقربين منه تأثير كبير عليه .

وقال البابا : إنه في الأشهر الأخيرة شعر بتعب كبير لدرجة أنه "بات علي الإقرار بعجزي عن القيام بالمهام الموكلة إلى بشكل جيد" .

وفي كتاب بعنوان "أضواء العالم" نشر في ٢٠١٠ ، أشارالبابا إلى إمكانية استقالته في حال شعر أنه لم يعد قادراً على الاستمرار في منصبه .

المحلل السياسي اسعد بشارة حول استقالة البابا ١١/٠٢/٢٠١٣

وفي تاريخ الكنيسة الكاثوليكية ، كان سلستين الخامس تخلى عن منصبه قبل تنصيبه حبراً أعظم في ١٢٩٤. وعاش معزولاً حتى تعيينه بابا وشعر بأنه غير قادر على تولي هذا المنصب .

وللتعبير عن مفاجأته قال المنسينيور انجيلو سودانو عميد الكرادلة : إن إعلان البابا "جاء كالصاعقة في سماء صافية"

كما أعرب رئيس الوزراء الإيطالي المستقيل ماريو مونتي "عن صدمته لهذا النبأ" .

واعتبر الرئيس الفرنسي فرنسوا هولاند أن قرار البابا الاستقالة "موضع احترام شديد" وذلك على هامش زيارة لضواحي باريس .

وأعلن المستشارة الألمانية انغيلا ميركل عن "احترامها الكبير" للبابا بنديكتوس السادس عشر .

وأعلن كبير حاخامات إسرائيل الاشكيناز يونا متسغير ، أن البابا بنديكتوس السادس عشر ساهم في تحسين العلاقات بين المسيحية واليهودية وأسهم في "خفض الأعمال المعادية للسامية في العالم" .

وأعلن أسقف كانتر بري جاستن ويلبي الزعيم الروحي للانغليكان أنه حزين جداً لإعلان البابا" وإنه "يتفهم تماماً قراره" .

وأعرب سكرتير أسقفية بولندا المونسينيور وجيش بولاك عن دهشته قائلاً "إنها مفاجأة كبيرة لنا" ، مضيفاً أن البابا "فكر مراراً في ما إذا كان يمكنه بسبب تقدمه في السن القيام بمهامه بشكل صحيح ، بوصفه خليفة للقديس بطرس" .

وكان جوزيف راتز ينغر المولود في ١٦ نيسان/ أبريل ١٩٢٧ في أسرة متواضعة في بافاريا خلف البابا يوحنا بولس الثاني في ١٩ نيسان /أبريل ٢٠٠٥ في سن ال٧٨ .

غادر البابا بنديكتوس السادس عشر منصبه على رأس الكنيسة الكاثوليكية رسمياً ، في انتظار أن ينتخب خليفة له .

**روابط ذات صلة :**

البابا بنديكتوس السادس عشر يلقي عظته الأخيرة قبل توجهه إلى مقره الصيفي .

البابا المستقيل يمنح لقبا فخرياً ويحتفظ بلقب القداسة .

موضوعات ذات صلة :

أوربا .

سياسة .

وتعهد البابا المستقبل ، بأن يظهر "طاعة واحتراماً غير مشروطين" لخليفته في الكرسي الرسولي .

وكان بنديكتوس السادس عشر يتحدث الخميس في مقر الكرسي البابوي إلى الكرادلة الذين سيكون عليهم الشهر القادم اختيار خليفته ، قبل ساعات من سريان قرار استقالته .

وقد أعلن بنديكتوس السادس عشر تنحيه عن الكرسي الرسولي وهو في الخامسة والثمانين من العمر ، ليكون أول بابا يستقيل منذ القرون الوسطى .

وخاطب بنديكتوس السادس عشر الكرادلة "بينكم يوجد أيضاً البابا القادم الذي أعده بأن أظهر له طاعة واحتراماً غير مشروطين" .

و ودع البابا مساعديه ، قبل أن تنقله مروحية إلى دير في قرية كاستيل غوندولفو المقر الصيفي للبابوات ، والتي لا تبعد كثيراً عن الفاتيكان ، وحيث سيقضي نحو شهرين ، ريثما يختار الكرادلة خليفته .

وقد ألقى بنديكتوس السادس عشر الأربعاء عظة وداع في ساحة القديس بطرس أمام نحو ١٥٠ ألف شخص ، ألمح فيها إلى صراعات داخلية داخل الفاتيكان ، وشكر فيها "المؤمنين" لاحترامهم قراره بالاستقالة ، وهو قرار قال إنه لمصلحة الكنيسة .

وقال بنديكتوس في عظته "كانت هناك لحظات من السعادة شع فيها النور ، لكن كانت هناك أيضاً لحظات أخرى لم تكن سهلة"

بنديكتوس السادس عشر أول بابا يستقيل منذ القرون الوسطى .

لكن بعض الأصوات في الكنيسة الكاثوليكية ارتفعت تنتقد قرار بنديكتوس السادس عشر بالتنحي .

فقد شك الكاردينال جورج بيل كبير أساقفة أستراليا في قدرة البابا المستقبل على قيادة الكنيسة الكاثوليكية .

وقال بيل متحدثاً من روما لقناة تلفزية : إن البابا المستقبل كان

"معلما فذا" ، لكن "الإدارة لم تكن نقطة قوته" ، مبديا أمله في أن يرى خليفة له "يقود الكنيسة ويلملم أطرافها" .

كما أبدى بيل تخوفه من أن ترسي الاستقالة سابقة مقلقة للكنيسة الكاثوليكية ، لأن "الناس الذين لن يوافقوا ، مثلا ، البابا القادم الرأي ، سيشنون حملة لدفعه إلى الاستقالة" .

وقد أضرت مجموعة من الفضائح الجنسية تورط فيها قساوسة كاثوليك بسمعة الفاتيكان ، إضافة إلى تسريب وثائق سرية تتحدث عن فساد وصراعات داخلية .

ويقول مراسل بي بي سي في الفاتيكان ديفيد ويلي إن البابا القادم سيكون عليه معالجة مشكلة البيروقراطية في الكرسي الرسولي ، الذي بدا حتى الآن متلكئا في تناول هذه الفضائح علنا .

وسيسلم مقاليد إدارة أمور الكنيسة الكاثوليكية - التي ينتمي إليها ١,٢ مليار نسمة - إلى خليفته المؤقت الكاردينال تار تشيزيو بيرتوني .

وقال بنديكتوس السادس عشر إنه لن يتدخل في شؤون البابوية مستقبلاً ، لكنه أشار إلى أنه قد يقدم النصح .

وفي الساعة الثامنة مساء ، تنتهي رسمياً بابوية بنديكتوس السادس عشر ، وهو ما سينعكس رمزيا في انسحاب الحرس السويسري الذي يرابط عند بوابة كاستل غاندولوفو ليعود الحرس إلى الفاتيكان .

وسيواصل بنديكتوس السادس عشر - واسمه الحقيقي جوزيف راتزينغر - حمل لقب البابا ، شرفياً فقط ، لكنه سيتخلى عن الملابس البابوية ، ليرتدي بدلها رداء أبيض عادياً .

وسيكون عليه التخلي عن حذائه الأحمر الشهير ، وعن الخاتم المهور باسمه والذي يستعمل للتصديق على بعض وثائق البابوية .

**الفضائح الجنسية المتكررة :**

من الأمور الأساسية كذلك التي قد تكون خلف استقالة البابا ، هي الفضائح الجنسية المتكررة - خاصة فضائح التحرش بالأطفال - التي تم الكشف عنها مؤخراً في العاصمة الروحية والأخلاقية للمسيحيين

الكاثوليك في العالم .

كذلك من الأسباب المهمة للخطوة التي أقدم عليها البابا هو فشله في المواكبة بين تعاليم الكنيسة الصارمة غير القابلة للنقاش ، وبين مستجدات اجتماعية وأخلاقية ظهرت في المجتمعات العلمانية في الغرب مثل تحديد النسل والشذوذ والإجهاض وقضايا الإيمان ، كل هذه القضايا لا تزال محل جدل كبير بين الكنيسة والمجتمع العلماني ، وانتقلت هذه الصراعات داخل الكنيسة نفسها ، بين مؤيد لهذه القضايا حتى لا تفقد الكنيسة أتباعها ، وبين معارض لها ويراها أفعالاً مشينة يجب رفضها .

**إسلام كبار القساوسة :**

وجهة نظر أخرى يطرحها عصام مدير ، المتخصص في التنصير في جنوب إفريقيا مع الشيخ "ديدات" ، ونشرتها "واشنطن بوست" من أن سبب الاستقالة يرجع إلى إسلام ٣٠ شخصاً من كبار الأساقفة والقساوسة بالفاتيكان ، وتجرى حالياً محاكمات واسعة لمعاقبتهم وطردهم من الكنيسة ، على ما أفادت الهيئة الإسلامية العالمية للإعلام والكلام لعصام مدير ، المعلومات التي يؤكدها "مدير" تعود إلى العام ٢٠٠٦ ، حيث حاول البابا التغطية على إسلام أولئك بافتعال ضجة بتصريحاته المسيئة للرسول عليه الصلاة والسلام ، لكنه مع ذلك لم يستطع نفي ذلك الخبر .

السر الأخطر في الموضوع والذي كشفه مدير ، هو أن هناك ثلاثة ممن يكتمون إسلامهم داخل الفاتيكان ، ظل بابا روما يحاول معرفتهم دون جدوي ، أحد أولئك الثلاثة هو المسئول عن تسريب وثائق تدين الفاتيكان والبابا ، وهي الفضائح التي كانت تخرج تترى حول الاعتداءات على الأطفال داخل الكنائس .

بسبب نشر تلك الفضائح ، هناك قضايا مرفوعة اليوم ضد البابا في بريطانيا ، بسبب ما فعلته الكنيسة الكاثوليكية من تستر على اعتداءات كثيرة ومتكررة من باباواتها تجاه الأطفال خلال عقود من الزمان .

الوثيقة الأخطر التي تم تسريبها ولم تنشر بعد ، هي وثيقة فاتيكانية عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - تحتوي على نسخة قديمة من الأناجيل فيها

اسم نبينا الأعظم ، وهو ما سيقلب الطاولة على الفاتيكان وأهله .

ويضيف مدير : أذكر زملاء الإعلام والناس بما يعرفه أكثرهم من قبل : "الفاتيكان لديه أرشيف وثائق ومخطوطات سرية سرب بعضها من سنة ، وقد سجن المسرب وحوكم ، وذكر الفاتيكان وجود مصادر تسريب داخلية به أخرى ، وكذلك إسلام أكثر من ٣٥ من رجالات الفاتيكان بقي منهم ٣ يكتمون إسلامهم وسربوا وثائق ، ومع تسرب الوثائق عثر على نسخة قديمة للإنجيل في تركيا ، قيل إن فيها اسم الرسول ، فضج الفاتيكان إعلامياً ودبلوماسيا لشراء النسخة من تركيا ، ثم اكتشف الفاتيكان مؤخراً أن نسخة تركياً غير النسخة التي فقدها من أرشيفه ، ولم تعثر مخابرات الفاتيكان عليها ، ولا اكتشف من يكتمون إسلامهم .

هذه الأسباب تعد الأسباب الأكثر منطقية لتفسير الحدث المزلزل بالفاتيكان ، والذي يتوقع أن يكون له تداعياته الكبيرة على العالم المسيحي ، لا للإستقالة فحسب ، ولكن لأسبابها الحقيقة التي ستتكشف قريباً ، وهي كما أسلفنا أسباب قد يكون بعضها مزلزلا للفاتيكان وأتباعه .

**استقالة بنديكت السادس عشر نتيجة انتشار الاعتداءات الجنسية في الكنيسة :**

منوعات : بواسطة ابن الجزيرة ٧/ مارس ، ٢٠١٣ .

جوزيف راتزينغر ٨٧ عاماً بحسب عادة الباباوات السابقين بتغيير أسمائهم لدى انتخابهم ، قام راتزينغر باختيار اسم بنديكت كاسم بابوي ، تأتى جذور الكلمة من اللغة الاتينية وهي تعني في اللغة العربية ، مبارك أو المبارك ، بحسب تصريح البابا فهو قد اختار هذا الاسم على شرف البابا بنديكت الخامس عشر ، وكذلك القديس بنديكت النيرسي .

استقال البابا في ٢٨ فبراير ٢٠١٣ ليكون أول بابا يستقيل منذ ستة قرون ، وقال بأن خطوته جاءت "لخير الكنيسة" معلناً عنها في بداية فبراير مع بداية الصوم الكبير في المسيحية ، بعد استقالته سيقيم البابا في كاستل غاندلفو قبل أن ينتقل إلى دير واقع في حدائق الفاتيكان حيث سيتفرغ "للصلاة والتأمل" ، محتفظاً بلقب "صاحب القداسة" والثوب الأبيض ،

كما سيحتفظ بلقب البابا بشكل فخري.

(ويكيبيديا)

ولكن لماذا يستقيل ولم يفعلها أحد منذ قرون ستة؟ وما هو الخير الذي سيعم الكنيسة عندما يستقيل؟ هل فعلاً أنهك من كثرة الأعمال؟ أم من كثرة الفضائح التي بدأت تزداد حتى لم يستطع تحملها ليقدم على هذه الخطوة .

مقال للكاتبة Margaret Talbot على مجلة New York ، تحدثت عن ما يحدث في الكنيسة من اعتداءات جنسية حيث ذكرت :

"..بموجب تسوية مع المدعين نحو خمس مائة ، اضطرت أبرشية لوس انجليس للأفراج عن سجلات تعاملاتها مع الكهنة المتهمين بالاعتداءات الجنسية على الأطفال تم التوصل إلى تسوية في عام ٢٠٠٧ ، وأفرجت الكنيسة في النهاية عن السجلات ، والتي احتوت على اثنتي عشرة ألف صفحة ، سنوات من تدرع الكهنة المتهمين بتهم جنائية ، وذلك بسبب الحرص على سمعة الكنيسة التي في كثير من الأحيان تتعاطف مع الضحايا ، كان ماهوني رئيس أساقفة ومسؤولين اخرين في الكنيسة تبادلوا الرسالة تلو الرسالة نحو أحد الكهنة ، وتوصيتهم بأن يبتعد عن لوس أنجلوس ، حيث إنه قد جذب الانتباه غير المرغوب فيه ، وقد اعترف في نهاية المطاف بالتحرش بأبناء المهاجرين غير الشرعيين ، وهدد كما تم الزعم واحداً على الأقل منهم بالترحيل إذا تحدث ، وفي الوقت نفسه ، قدمت الكنيسة للكاهن العلاج الداخلي له ثم تم نقله إلى دولة أخرى"

وأظهرت الكاتبة مدى الخلاف وعدم أهلية من يتقلدون المناصب في الكنيسة مثل الكاردينال ماهوني والذي يظهر أنه سيئ الأخلاق" :

"خوسية غوميز ، الذي ساعد ماهوني في عام ٢٠١١ ليصبح رئيس أساقفة،قام بخطوة غير معتادة من تجريده من مهامه العامة ، وقد أعلنت شرطة لوس انجلس أنها تدرس السجلات للبحث عن ما يستدعي إلى محاكمات جديدة ، وقد جمعت ، مجموعة تسمى الكاثوليك المتحدة ، الآلاف من التواقيع على عريضة تطلب عن عدم أهلية ماهوني من حضور الاجتماع السري في الأسبوع الماضي ، وكان البابا بنديكتوس السادس

عشر يستعد للتنحي" .

هنا استشهدت الكاتبة بتصريح أحد القضاة والذي يظهر مدى الفساد في الكنيسة :

"آن بورك ، قاضي مدينة إلينوي والتي خدمت في المجلس الاستشاري للأساقفة الكاثوليك ، قالت للصحيفة أن الكثير من قادة الكنيسة : قد شاركوا بشكل أو بآخر لعلمهم بالمعلومات الفعلية عن السلوك الإجرامي ، وعدم قيامهم بأي عمل ، أذاً ما العمل؟ أنهم جميعا لن يشاركوا في الاجتماع السري؟" .

"من الصعب الحصول على التقديرات ، والقصور في الإبلاغ عن الاعتداء الجنسي على الأطفال هي مشكلة مستمرة ، ولكن وفقا لدراسة بتكليف من مؤتمر الولايات المتحدة للأساقفة الكاثوليك وأجراها باحثون في كلية جون جاي للعدالة الجنائية ، ذكروا أنه نحو أربعة في المائة من القساوسة الكاثوليك اتهموا بالتحرش بالأطفال ، ربما كانت هذه المقارنة بالنسب إلى الطوائف الأخرى وبين عامة السكان" .

وقد أظهرت الكاتبة صدمتها وألمها حيال حوادث الاعتداءات الجنسية من قبل أعضاء الكنيسة واستخدام سلطتهم الدينية في التستر على المعتدين وإصباغهم بصبغة دينية لحمايتهم :

"...إن ما هو مفاجئ أن المسئولين الكاثوليك يستطيعون أن يجدوا هدفاً سامياً وهو حماية قداسة متعاطفي الكهنوت حين يعبث ، والخشوع والتواضع عند انتقاد سلوكهم ، قام ما هوني بالتدوين عن استخاف العامة له ، وإنه يقارن ذلك مع صمود المسيح ، داعياً المؤمنين للانضمام إليه في استكشاف ما هو عليه "اتخاذ الصليب حياتنا اليومية واتباع يسوع في الرفض ، في الإذلال ، وفي التهجم عليه شخصياً" ولكن خلافاً للملاحقة الجنائية لمرتكبي الجرائم أو الإصلاح الحقيقي للكنيسة تجد أنها لا تفعل الكثير لمساعدة الضحايا أو لمنع الإيذاء" .

ثم بدأت الكاتبة في توضيح توجه بنديكت السادس عشر في التعامل مع هذا الملف ، حتى إنها ذكرت أن طريقة بنديكت اختلفت عن سابقه في التعامل مع الاعتداءات الجنسية ، وهذا لا يعني إلا أن مسلسل

الاعتداءات مستمر ومتأصل في الكنيسة وكأنه موروث :

"عندما تولي الكاردينال جوزيف راتزينغر البابوية في عام ٢٠٠٥ ، يبدو أنه قد تعامل مع فضيحة إساءة المعاملة بطريقة تختلف عن سلفه ، حيث إنه التقى مع الضحايا في الولايات المتحدة والمملكة المتحدة ، والاعتذار لهم عن وصمة "العار والذل" ، وفي عام ٢٠١١ وجه الأساقفة لجعل الأولوية لاستئصال الاعتداء الجنسي من قبل رجال الدين ، لكنه لم يستبعد الأساقفة الذين كانوا يتجهون اتجاهاً آخر ، وأنه لم يبدأ التحقيق والاستجواب على أعلى المستويات ، كما أمل المعتدى عليهم والمدافعون عنهم .

فترة بنديكت السادس عشر ، في الواقع ، قد تميزت بتكثيف الاستهجان بما يسمى إصلاحات ، في الربيع الماضي شجب البابا جهود إصلاح كاهن في النمسا ، حيث إن مائة وخمسين ألف كاثوليكي ترك الكنيسة ردا على الإشهارات عن الاعتداءات الجنسية في هذا البلد ، ودعا الكاثوليك إلى تبني بدلا من ذلك "التشدد في الطاعة" في الخريف الماضي ، استبعدت الفاتيكان كاهناً أمريكيا شارك في تنسيق حفل للمرأة" .

ثم بدأت الكاتبة في سرد بعض الحلول لهذا النوع من المشاكل بأن يتم منح المرأة مناصب قيادية في الكنيسة والسماح للكهنة بالزواج ، أقتبس منه :

"عام ٢٠١٠ وفقا لاستطلاع تايمز ٦٧ في المائة من الكاثوليك الأمريكيين يعتقدون أنه ينبغي أن يسمح للكهنة بالزواج و ٥٩ في المائة يعتقدون أن المرأة ينبغي أن يسمح لها أن تكون كاهنة ، يطرد كاهناً لأنه شارك في تنسيق حفل للمرأة أسرع مما يفعل الرجال الذين تم توثيق تهمة اغتصاب الأطفال عليهم .

إن قضية منع النساء من الكهنوت هو مسألة تقليد لم يذكر في الكتاب المقدس. (وفي عام ١٩٧٦ ، صوتت لجنة الكتاب المقدس البابوية لصالح فكرة أن الكنيسة قد تُرسم النساء دون إلغاء لنوايا المسيح) ، إذا وضعت الكنيسة النساء في المناصب القيادية والقضاء على شرط العزوبة ، لكون النساء وعلى حسب الإحصائيات أقل عرضة للاعتداء جنسياً على

الأطفال" .

وقبل أن تختم الكاتبة مقالها ذكرت حال بعض الكهنة مع العزوبة وحال من يؤيد هذا الأمر ، وأيضاً السبب الحقيقي لاستقالة بنديكت السادس عشر :

"الشهر الماضي ، الكاردينال كيث أوبراين ، رئيس الكنيسة الكاثوليكية الرومانية في اسكتلندا ، تصدر عناوين الصحف عندما قال إن "العديد من الكهنة قد وجدوا صعوبة بالغة في التعامل مع العزوبة عندما لا يتعاملون بالكهانة ويشعرون بالحاجة إلى رفيق" ، وسط مزاعم بأنه كان "يتلقى اتصالات غير لائقة" من الكهنة الآخرين. (على عكس ماهوني ، اوبراين يتجنب روما)" وكان على حق حيث إن صحيفة لاريبوبليكا الايطالية ذكرت أن السبب الحقيقي لاستقالة بنديكت السادس عشر ناتجة من عملية الإبتزاز بسبب (مثلية) أساقفة الفاتيكان. (نفي الفاتيكان أي صلة بالموضوع)" ... انتهى .

وماذا بعد؟ ... هذه هي الكنيسة وما فيها من انحطاط في الأخلاق ، لم تستطع الكنيسة أن تكبح جماح رغبات كهنتهم الجنسية وقامت بالتعامل مع المشكلة بمشكلة أكبر أن تتستر عليهم وتستخدم سلطتها الدينية في حمايتهم وتركت المعتدى عليهم يتجرعون ألم الغدر والخيانة .

هذا هو مجتمع الديانة المسيحية (المحرفة) والتي تم تحريفها وتحويرها على حسب هوي مخلوق ولا بد أن تتداعى .

نعم يا بنديكت ارحل وعش في ديرك مهزوماً مدحوراً ، فأنت لم تستعجل في ترك عرش البابوية الا لأنك تعلم أن ماهو آت أشد وأعظم وأن الوضع قد أنفرط فاخترت أن تبتعد برغبتك (مرغماً) قبل أن يتم إبعادك ، أن تسقط نفسك حتى تحفظ ولو القليل من ماء الوجه قبل أن يسقطوك .

نعم .. ارحل يا بنديكت وعش في ديرك مهزوماً مدحوراً ...

فقد مضت فيك سنة الله تعالى فأهانك في عرينك وانتزعك من

كرسي الباباوية انتزاعاً وألقى بك في مقبرة النسيان لتكون عبرةً لعباده سواء آمنوا أولم يؤمنوا ، أما سيدنا محمد ﷺ الذي حاولت وسولت لك نفسك تلك المحاولة أن تنال منه ومن دينه الذي جاء به ، فقد شرفه الله تشريفاً لا يتسامى إليه مخلوق ولا يصل إليه أحد ولا يبلغ إليه أرباب التيجان أصحاب السلطان .

وقد تناولته أحقاد الحاقدين وحسد الحاسدين من قبلك وظلوا يكيدون له جهد ما يستطيعون ، لعلهم ينزلون من قدره أو يشوهون حقيقته أو يثيرون الغبار في وجهه الشريف .

ولكن الذي رفعه على الناس جميعاً وفضله على العالمين لم يشأ أنه يكون لهم النصر عليه أو الغلبة دونه ، وإنما رد إليهم كيدهم في نحورهم وخذلهم أعظم خذلان ، وصدق وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده ، وتلك سنة الله فيهم وفي أمثالهم ، ﴿ولن تجد لسنة الله تبديلاً﴾ .

وخير ما نختم به هو الصلاة على هذا النبي المكرم بالصيغة التي تتنا سب مع الموضوع ، وهي صلاة الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

فقد أخرج ابن ماجة والبيهقي في شعب الإيمان والديلمي والدارقطني عن أبي مسعود رضي الله عنه أن كان يقول :

إذا صليتم على النبي ﷺ فأحسنوا الصلاة فإنكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه وقولوا : "اللهم اجعل صلواتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين وإمام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك ورسولك إمام الخير وقائد الخير ورسول الرحمة ، اللهم ابعثه مقاماً محموداً يغبطه فيه الأولون والآخرون ، اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد ، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد". اللهم آمين .

❖❖❖

# بائع من إفريقيا (*)

# هز أساطين القساوسة وأركان الكنيسة (**)

## (الحلقة الأولى)

بقلم : الأستاذ محمد عبد الكريم الهدوي
(كيرالا - الهند)

لم يكن هذا الفتى محظوظاً بنصيب وافر من وسائل التعليم العالي إلا ما حصل عليه من المعلومات الضرورية في المدارس الابتدائية ، ولم يستطع أن يستمتع برواق المدرسة ورحابها الواسعة التي تحمل فيها الطلبة من أبناء الميسورين حقائب كتبهم لكي يحضروا الفصول صباحاً ومساءً ، ولكنه بسبب الفقر المحدق بأسرته اضطر إلى أن ينهي دراسته ويسرع إلى العمل في مبتكر عمره ، وكان في عهد صباه ، يعود من المدرسة إلى المبنى الذي يسكن فيه ليأخذ قسطه من الطعام من مطعم قريب منه ما شكل في حياته نظاماً روتينياً ، وأما غياب أمه الرؤوم التي يحبذ كل صبي وجودها معه في تلك الفترة تهيئ له طعاماً يحبه ، وتداعبه وتجالسه في أحزانه ومسراته ، فقد خلف في نفسه وحشة قاتلة ، ولا لوم على أبٍ كان يعمل عن عرق جبينه لأسرته وينشغل بعالمه الأبوي المسئول ، وكان أحمد ديدات الذي نتحدث عنه طالباً متفوقاً بين أقرانه وذكياً ولامعاً بالرغم من المشاكل التي هو فيها ، وفي السادس عشر من عمره ، اكتسب لنفسه مهنة ليتصدى بها وطأة الفقر المحيطية بعائلته ، فصار بائعاً .

---

(*) قارة جنوب إفريقيا .

(**) تم إعداد هذه المقالة بمراجعة الكتب للأستاذ أحمد ديدات وعنه ، وحواراته ومحاضراته وخطبه المتوافرة في الشبكة العنكبوتية .

وهو اليوم ، بعد خمس وتسعين سنة منذ ولادته ، ليس فقط واحداً من فرسان الدعوة الإسلامية بل أخطر المدافعين عن الإسلام في الغرب لساناً وقلماً ، وأسد المنابر إذا أطلق زمجرة أثارت إلى أحشاء الباباوات على مستوى العالم قشعريرة مقلقة ... وفوق كل ذلك إنه داعية فريد في نوعه أحكم نشاطاته الدعوية وتنوع فيها بما يلائم عقلية القرن الحادي والعشرين .

وهذا البطل من أبطال الإسلام الذي قل أن يلده التاريخ أصبح محبوب الأمة وقوة أعين المسلمين الغيورين ولا يزال يبقى منارة للدعاة المخلصين الذين علت بهم كلمة الله وأعاد الله بهم كيد كل من أرادوا أن يطفئوا نور الله بأفواههم إلى نحورهم ، وقد صدق الله العزيز المتعال : "يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا اسْتَجِيْبُوْا لِلّٰهِ وَلِلرَّسُوْلِ ❖ إذا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيْكُمْ ❖ وَاعْلَمُوْا أَنَّ اللّٰهَ يَحُوْلُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ ❖ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُوْنَ" (الأنفال/٢٤) .

**حياة أحمد ديدات :**

ولد أحمد حسين قاسم ديدات عام ١٩١٨م في سورت (١) بالهند ، كان أبوه حسن كاظم ديدات عاملاً بالخياطة في جنوب إفريقيا ، لحق بأبيه عام ١٩٢٧م في السنة التاسعة من عمره وعقب مغادرته الهند توفيت أمه ، رحمها الله ، والتحق بالمدرسة هناك و واصل دراسته حتى الصف السادس ثم توقف عن التعليم بسبب الفقر ، الذي أعجزه عن دفع الرسوم المطلوبة ، رغم أن أباه اتصل بكثير من التجار المسلمين لمساعدته على مواصلة دراسة ابنه ولكنه لم يجد إليها سبيلاً ، فبحث عن سبل أخرى واختبر حظه في كثير من الأعمال المهنية وعمل في عدة محلات تجارية ، ثم ارتحل من مدينة (دربان Durban) التي تسكن فيه أسرته إلى دكان رجل مسلم يقع في مسافة خمسة وعشرين ميلاً من تلك المدينة ، فوجد مهنة في متجر رجل مسلم شريف فمكث هناك بائعاً فيه ،

ثم رجع من مكان عمله الأول إلى دربان ليعمل في مصنع كسائق للشاحنات الكبيرة ، ثم عمل ككاتب ضابط للصادرات والواردات ثم مديراً للمصنع ، وفي ١٩٤٩م سافر إلى باكستان وعمل فيها ثلاث سنوات في معمل للنسيج ، وفي عام ١٩٣٧م تزوج بالسيدة حواء غنغت ؛ وأنجب بنتاً و ولدين ، وفي عام ١٩٩٦م عقيب عودته من استراليا بعد مناظرة ناجحة مع أكابر البابوات هناك أصاب بجلطة شلته تماماً تحت عنقه فصار طريح الفراش لمدة تسع سنوات ، وكان في فترة مرضه يتلقى عناية كريمة من المملكة العربية السعودية وأغنيائها حيث نُقل إلى مستشفى الرياض لعلاج أفضل وعناية المتخصصين بنفقتها الخاصة (٢) ، انتقل رحمه الله إلى جوار ربه عام ٢٠٠٥م في عمره السابع والثمانين مستمعاً إلى القرآن الكريم الذي كان يشغف به أي شغف ويحبه حباً جماً .

**طريقه إلى الدعوة الإسلامية :**

كان يُمضي أوقاته بين الزبائن القاصدين إلى محله لاحتياجاتهم ، بين السكر والملح ، بين غلائل الأرز والخضروات الموضوعة على الطاولة بطريقة منسقة ... وكان هذا المتجر الذي كان أحمد ديدات يعمل فيه ، بجوار إرسالية مسيحية جامعية تدعى آدم مشن (٣) كان له أن يجتاز هذا المجمع كل يوم في طريقه لفتح المحل ، وهذه الإرسالية عبارة عن كلية يتعلم فيها الشباب المسيحيون المبشرون كيفية المواجهة مع المسلمين وتحويلهم إلى النصرانية ، وباعتبارها دورة تدريبية كان يجب عليهم أن يلقوا الناس في الطريق ، والشارع ، والمحلات وينفذوا أساليب الدعوة التي درسوها عن ظهر قلب ، فقاسى منهم المسلمون ما قاسوا من المشاكل الدينية كتوجيه السخرية والتنديد بالدين الخاص بهم .

وكان يرتاد إلى هذا المتجر كثير من الزبائن من مختلف الجماعات مسلمين وغير مسلمين ويوجد فيما حوله كثير من العاملين

أيضاً ، ومن بينهم هؤلآء المبشرون الذين يأتون إليه كزبائن ولكن سرعان ما يتحولون من طابع الزبون العادي إلى داعية يحمل معه عبء الدين المسيحي فيلقون في قلوب من كانوا فيه بشتى الإشكالات المتعلقة بالإسلام ورسوله ويوجهون إليهم بأسئلة كثيرة (٤) .

كانت تلك الفترة تقوم فيها العمليات التبشيرية على قدم وساق في البلدان الثالثة ، بدعم المساعدات المالية والمادية من قبل الدول الأوربية من أجل إعادة المجد الفائت للكنيسة والنصرانية إلى أيديهم بعد الحرب العالمية الأولى وضعف الكنيسة ، وكانت تبذل فيها البعثات التبشيرية أقصى جهدها في تحقيق الأحلام وجني الثمار المرجوة بتدبيرات مدققة مصحوبة بفكرة الاستعمار ، وكان المسلمون يتصدرون في الاستهداف لأنهم أقوى الناس قادرين على توجيه التحديات إلى الدين المسيحي ، فاستغلوا من عدم وعي المسلمين عن خطورة الأمر، كانت البعثات التنصيرية قوية جداً في الدول الأكثر المسلمين وجوداً مثل الهند ومصر ، وخاصة إفريقيا ، التي هي في أسوء الأحوال من أي دولة أخرى في جميع المجالات الاقتصادية والاجتماعية الأمر الذي مكنهم فيها من القيام بخطط إسعافية وإغاثية ثم الدعوة المسيحية ... فهكذا تنصر آلاف من أتباع ديانات مختلفة (٥)

عام ١٩٣٦م كان ديدات في هذه الفترة شاباً إلى حد أنه لم يكن يعرف عن القرآن الكريم والسنة الشريفة و واجبات المسلمين إلا ما هو يجب على المسلم معرفته بالضرورة ... ولم يكن مطلوباً من عائلة محافظة متمسكة إلا أن تعرف هذا الحد من الضروريات كالصوم في شهر رمضان والصلاة في الأوقات الخمسة وهلم جراً ... ولكن رجال المسيحية كانوا يبحثون حتفهم بظلفهم حينما ارتقوا لمرة ثانية إلى متجر هذا الشاب العامي وحملوا معهم بشارة الديانة المسيحية ، ولم يكن في حسبانهم قط أن هذه المهمة ستتحول إلى مأساة خطيرة في المستقبل

القريب ، وأنهم في الحال يعدون رجلاً سيكون له دور كبير في افتراس أحلامهم ، وكان منهجهم في التنصير أن يطرحوا أسئلة على عوام الناس عن الإسلام ونشره بحد السيف والنبي ورسالته وتعدد زوجاته والمسيح وألوهيته والقرآن وانتحاله من الكتب السابقة وغيرها ... تلك التهم المتوغلة في العصور الوسطى التي كانت القساوسة نسجتها وزينتها لمتبعي النصرانية لبث الحقد والضغينة في قلوبهم تجاه المسلمين وحضهم على الجهاد ضدهم في الحروب الصليبية ، ولاغتصاب الأندلس من أيدي المسلمين ، ولكن هذا كله حدث ببساطة جداً وبأسلوب يلائم عقلية الإنسان العادي فيحير أمام هذه التحقيقات العلمية .

ولكن هذا لم يكن ليحدث في شأن أحمد ديدات ، وبالنقيض من ذلك تماماً ، استخدم عقله للخوض إلى غمار المعلومات المتوافرة آنذاك عن الديانات العالمية بوجه عام والنصرانية بوجه خاص ، وكان يؤمن بأن الإنجيل والتوراة قد تعرضا للتحريف والتبديل من قبل أصحابهما تحقيقاً لمصالحهم المغرضة واتباعاً لأهوائهم الضالة وعقولهم الضعيفة ، لأن القرآن الذي لا يأتيه الباطل يفندهما بشدة ، وهذه الاتهامات الموجهة تجاه الإسلام ورسوله من دون أصل في التاريخ والواقع ، ولكنه بفضل الجهل المطبق على الأمة ، والوسائل الأخرى من الحكم والقوة ، استفزت حميته الإسلامية وغيرته الدينية وفكرته بأنه ليس من المقبول أن يكون الإسلام الذي هو مجمع الصفات الحميدة والجميلة ، عرضة للظلم والرشق بحجارة الأعداء الألداء بمجرد أن أصحاب الإسلام عاجزون عن الدفاع فكرياً وعلمياً ، ولكن أنّى لبائع في المحل الدفاع عن كل ما يحدث حوله وهو لا يعرف عن الإسلام إلا الشئ اليسير ؟!

**عناية إلهية في حياة أحمد ديدات :**

وقد قال الله تعالى : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ ۞ وَ إِنَّا لَهُ

لَحَافِظُوْنَ﴾ (سورة الحجر الآية/٩) ، فإن لله سبلا محكمة لحفظ كلامه ، ونشره إلى قيام الساعة ولو تصدت له المادية البشرية وارتقت وسائله العلمية ، وبقدر ما يجابه الإسلام الاتهامات من قبل المضطلعين على اعتداء الإسلام بقدر ما يظهر أكثر مصقولاً ، وإن كان الله قد تولى حفظ القرآن فيخلق لذلك أسباباً ، لأن الله مسبب الأسباب ، و وراء كل ما يقوم به من شئ حكمة ربما تختفي عن أعين وأفهام الناس الضعفاء فكان تحوله من طبقة عاملة إلى داعية جليل توفيقاً من الله وأنه يزيد عباده إذا شكروه ، وآمنوا به وبرسوله وتاق قلبهم إلى علو الإسلام ، وهذا التوفيق الإلهي ظاهر في جميع حياته الدعوية .

تعطشه للقراءة : ألقى الله في قلبه أنس الكتاب وجعله خير جليس له في فترات وحشته ، وأصبح قارناً نهماً لا يترك شيئاً وقع في يده من كتب ومجلات وغيرها إلا وقرأه بدقة متناهية ... وعلّ من تلك الكتب ونهل منها واكتسب منها مقدرة كبيرة حتى صعب عليه أن يجد كتاباً في المكتبة هناك لم يقرأه ، وهبه الله فهماً ثاقباً وذكاءً لامعاً ولساناً طليقاً والتوفيق والسداد في الجهد والمثابرة ... وحين كان أترابه يتفننون في المصارعة الجسمية قيض الله له التفوق في المصارعة الفكرية ، فبدأ يجادل مع كل من يتصدى له في المواضيع المختلفة ما جعله يفوقهم في المعقولات والقدرة على المناظرة بالإضافة إلى امتلاكه القدرة اللغوية الهائلة ، قرأ ثم قرأ ...

كتاب (إظهار الحق) : من ذا الذي كان يستطيع مقاومة سيل عارم إذا شرع في الفيضان ؟! وبرغبته العنيفة في القراءة تذللت أمامها ظروف صعاب لأن الدفاع عن الإسلام كان جل همه ... نصره الله نصراً عزيزاً فهيأ الله له حالات تليق طبيعته من حيث لا يحتسب ، ذات يوم ، كان يبحث في كومة من الصحف المكدسة في مخزن مرؤوسة للحصول على شئ أفضل للقراءة ، فحدثت المفاجأة أن حصل على

كتاب قديم جداً قضمته الحشرات ومتعفناً للغاية تم إصداره في الهند عام ١٩١٥م ، أخذه في يده ليقرأ العنوان المكتوب في الألفاظ الإنجليزية Izharul Hakk ولكنه لم يستطع فهم معنى هذه الكلمة إلا أنه وجد تحته معناها مترجمة إلى الإنجليزية Truth revealed ، وهذا الكتاب للعلامة رحمة الله الهندي غير مجرى حياته كاملاً (٦) .

ألفه الشيخ رداً على النصارى في خمس مسائل من النسخ والتحريف والتثليث وحقية القرآن والنبوة ، ولفت نظره إلى أهمية الحوار بين المسلمين والنصارى على أنه أفضل طريق للدعوة إلى سبيل الحق ، فتعلم أحمد ديدات من ذلك ، و رد أصحاب التنصير بشدة ورماهم بكل أثقاله فتعين عليهم أن يراجعوا إلى علمائهم وأقاسيسهم ولكنهم عجزوا عن اعطائه أجوبة مقنعة ، فعلم أن الدعاوي التي يقومون بها ما هي إلا أوهام لا وزن لها ولكن الناس يغترون بالمظاهر الجذابة ، وفهم أيضاً أن العلم والتقوى سلاح المؤمن ، والتفكير والتدبير هما اللذان يحتاج إليهما المسلم ، فقام في بلاده بمحاضرات مفيدة للمسلمين وغير المسلمين فزودهم بأسلحة صارمة من حقائق الإنجيل وخلودية القرآن وأعاد مكايد المبشرين إلى نحورهم ، فالله شرح له صدره ويسر له أمره فحلل عقدة لسانه وفقه الناس قوله لأنه القائل : ﴿إِنْ يَّنْصُرْكُمُ اللّٰهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۞ وَإِنْ يَّخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذا الَّذِيْ يَنْصُرُكُمْ مِّنْ بَّعْدِهِ ۞ وَعَلَى اللّٰهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُوْنَ﴾ (سورة آل عمران الآية/١٦٠) ، ثم أخذ يتفق معهم بزيارتهم في بيوتهم كل يوم أحد ، وقابل معهم بعد أن ينتهوا من الكنيسة وتحدث معهم ، ومن خلال التحدث معهم تعلم كيف يتكلم ويناقش ويجادل ... يقول الأستاذ ديدات : "وبفضل هذا الكتاب تغيرت حياتي تماماً ولو لم أصادف هذا الكتاب ما كنت لأقوم بما أقوم به الآن ، وأعني بذلك التحدث إلى الناس عن الأديان من منطلق المقارنة بينها" (٧) .

فصول الكتاب المقدس : وفي الخمسينات ، عاد إلى مدينة دربان (DARBAN) حيث وجد مهنة هناك ، وكان يأتي إليها كل صباح يوم أحد رجل من الخارج ليحاضر للشباب الراغبين في الفصول عن بايبل ، وكان جمهوره ما بين مائتي وثلاثمائة حتى أخذ الجمهور في ازدياد في كل أسبوع ، لأنه كان خطيباً ساحراً ومؤثراً بليغاً وتشوق الناس إليه بلهفة ، وكان يفسح المجال لطرح الأسئلة وتصفية إشكالاته المتعلقة ببايبل ، وقد ترك هذا الشخص في أحمد ديدات بالغ التأثير فحضر في فصله دون انقطاع وبرغبة متضاعفة ، ولكن هذه التجربة لم تدم كثيراً حيث تغيب بعد عدة شهور .

ولكن شخصاً آخر يدعى مستر فيرفاكس ، وكان إنجليزياً اعتنق الإسلام وأخبر الشباب هناك أنه إذا كانوا راغبين في دراسة المقارنة بين الديانات المختلفة على وجه العموم والديانة المسيحية على وجه الخصوص ، يدرسهم ... أحمد ديدات ومن معه من الشباب المتعطشين إلى معرفة حقائق الدين المسيحي فلم يلبثوا في الاستماع بهذا الأمر حتى وافقوا عليه كل الموافقة ... كان عالماً خبيراً عن مكامن ضعف الإنجيل فعلمهم كيف يستعمل الإنجيل ضدهم في الدعوة الإسلامية ، لأن الإنجيل نفسه يحتوي على عدة أجوبة كافية دالة على صحة الإسلام والقرآن وانحراف النصرانية عن الهدى والحق ... وللدراسة العميقة قام باختيار نخبة من خمسة عشر إلى عشرين فرداً من الجمهور الذي يبلغ عدده أكثر من ثلاثمائة ، وعلى الرغم من كون ديدات مزوداً بتلك المعلومات التي كان يحاضر بها للشباب كان يجلس في تلك الدورة بحماس شديد وبشكل الدوام لرفع روحه المعنوية وتشجيعاً له وللشباب الحاضرين ... ولخيبة أمل الشباب الدارسين في (دربان) أن هذا العالم لم يحضر لأسابيع متوالية ما ترك في وجوههم مسحة الاضطراب والإحباط .. وفي الأسبوع الثالث الذي لم يحضر فيه قام فيهم أحمد

ديدات قائلاً لهم إن كانوا راغبين في مواصلة الدراسة سيبدأ من حيث أنهى مستر فيرفاكس فلم يعترضوا ، فظل في التدريس ثلاث سنوات متواليات متحدثاً لهم كل يوم أحد ما مكنه من التعلم والتعليم ، ورأى أن تعليم الناس ما يعرفه من علم وتبليغه سر المعرفة ، وهو أحسن صدقة وأصلح عمل يقوم به الإنسان فيفتح الله له آفاقاً جديدةً مصداقاً لقول النبي الكريم ﷺ : "بلغوا عني ولو آية" و "زكاة العلم نشره"

**خطبة في جوهانسبرغ (٨) :**

لم يمض كثيراً حتى جذب هذا الفتى الخطيب انتباه الناس في المدينة ، معلوماته في الكتب المقدسة وإيمانه القوي في القرآن الكريم والرسول الحبيب مدهشة للغاية .. ذات يوم ، أتى إليه بعض من الذين كانوا يحضرون لفصوله في دربان ، القادمين من جوهانسبرغ وطلب منه أن يلقي خطبة في بلدهم في يوم الاحتفال بمولد النبي الكريم ﷺ ، وقد رفض أولاً هذه الفكرة على أنه رجل من الطبقة العاملة ، ولا يستطيع تحمل تكلفة الرحلة ولكنهم أعطوه تذكرة الطائرة وتحملوا نفقة الرحلة ذهاباً وإياباً فسافر هو لأول مرة في الطائرة ليلقي خطبة مثيرة الانتباه جداً في قاعة مدينة جوهانسبرغ ، ولكن هذه لم تكن خطبة فحسب بل زرعت في نفسه ثقة كبيرة وجعلته يفكر أكثر في مجال الدعوة وتوسعة نطاقه وفي كيفية التعامل معه والتزام الطرق الجديدة ، وفكر أنه إذا كان قد حاضر في قاعة مدينة جوهانسبرغ أن قاعة مدينة دربان أحرى أن يقوم بالمحاضرات فيها فبدأ بها في قاعة مدينة دربان عام ١٩٥٨م ، وكان قد استقطب المسجد الجامع الكبير هناك مقراً لعملياته الإسلامية ، وبسبب نشاطه القوي هناك أخذ الناس يعتنقون الإسلام ، وكان هناك شخص من أغنياء البلد يدعى (الحاج قدوة) الذي يمتلك خمسة وسبعين فداناً من الأرض في إقليم ناتال بقرية بريمر على بعد ٥٥/ميلاً خارج دربان ، يراقب كل ما يجري في المسجد من

اعتناق الأوربيين والهندوس فأعجبه وأبدى رغبته في تبرع تلك الضيعة كلها في سبيل الله فتقبل و وضع هناك حجر الأساس لمؤسسة باسم (معهد السلام) ، وكانت عبارة عن مدرسة ابتدائية ، وعيادة طبية ، وكلية لتدريب الطلبة المسلمين عن الدعوة ومناهجها الحديثة ، وهذه المؤسسة لا تزال تعمل حتى الآن .

(يتبع)

---

**الهوامش :**

(١) مدينة ساحلية بولاية غُجرات ، مشهورة في التاريخ بالتجارة بينها وبين الدول الخارجية.

(٢) هي حياتي أحمد ديدات ، أعده للنشر أشرف محمد الوحش من برنامج تلفزيوني عربي .

(٣) إرسالية أمريكية .

(٤) أحمد ديدات ومنهجه في الحوار والدعوة وأهم مجالاته التطبيقية الممكنة : ص/١٧٥ .

(٥) مواجهة التنصير : ص/١١ .

(٦) الشيخ رحمة الله بن خليل الرحمن الكيرانوي الهندي الحنفي ، ولد رحمة الله بقرية كيرانه بمحافظة مظفرنغر عام ١٨١٨م في عهد السلطنة المغولية ، كان عالماً مكافحاً ضد المستعمرين الإنجليز ومناظراً قديراً ، وقد قام بالمناظرة مع أقاسيس عصره الكبار من بينهم القس فندر فكان مستشرقاً أمريكياً وقد أرسلته كنيسة إنجلترا رئيساً للمنصرين في الهند ولسبب اشتراكه في ثورة ١٨٥٧م اضطر للخروج من الهند إلى مكة مختفياً وصادر الإنجليز ممتلكاته وحظر كتبه من البيع والطباعة ، أما خلفية تأليف كتاب إظهار الحق فذلك أن السلطان العثماني عبد العزيز خان عرف بالشائعات التي تقوم بها فندر بشأن المناظرة الكبرى التي جرت بينه وبين الشيخ رحمة الله عام ١٨٥٤م وفشل فيها فندر فشلاً ذريعاً ، فأحزنته ، فكتب رسالة عاجلة إلى شريف مكة عبد الله بن عون للاستفسار بشأن الحجاج الهنود عن قصة المناظرة والثورة سنة ١٨٥٧م وإعلامه بحقيقة الأمر ، فأخبره الشريف بأن الشيخ موجود في مكة ، فطلبه السلطان كضيف خاص ، وعند وصوله إلى الآستانه استقبله السلطان في موكب رسمي ، وأنزله بالقصر الهمايوني ، وأقام له حفلة كبيرة حضرها الوزراء والعلماء وكبار رجال الدولة ، ثم طلب من الشيخ أن يحدثهم عن المناظرة والثورة ودور العلماء فيها والمذابح الوحشية على يد الإنجليز ثم طلب من الشيخ في هذه الزيارة تأليف كتاب في الرد على النصرانية فألف كتابه إظهار الحق ، توفي رحمه الله عام ١٨٩٣م في مكة ، (المرجع : مقدمة كتاب إظهار الحق مع دراسة وتحقيق وتعليق للدكتور محمد أحمد محمد عبد الخليل الملكاوي ، الإدارة العامة للطبع والترجمة ، المملكة العربية السعودية ، سنة ١٩٨٩م ، الجزء الأول : ص/٢٠-٢٥) .

(٧) هذه حياتي : ص/١٧ .

(٨) مدينة في جنوب إفريقيا .

# الخطابة العربية في الهند

## ودورها في نشر الدعوة

بقلم : الباحث محسن عتيق خان الندوي
نيودلهي (الهند)

**الخطابة لغة :** توجيه الكلام نحو الغير للإفهام ، والغرض منه ترغيب الناس فيما ينفعهم من أمور معاشهم ومعادهم كما يفعل الخطباء والوعاظ (١) .

**اصطلاحاً :** وفي الاصطلاح هي فن مشافهة الجمهور وإقناعه واستمالته ، فهي تستمد قوتها من الشروط الثلاثة : المشافهة ، والإقناع ، والاستمالة ، ونجد لدى أرسطو قولاً بليغاً في تعريف الخطابة فهو يقول : "إن الخطابة هي قوة عظيمة تسهل الإقناع والاستمالة وتُنشئ القدرة على إقناع السامعين بالرأي الذي يدعو إليه الخطيب بما يبدي من حجج" (٢) .

**الخطابة عند العرب :**

كان للخطابة شأن عظيم منذ العصر الجاهلي ، واعتبرها العرب فناً من الفنون الأدبية ، ونجدهم يؤثرون الخطيب على الشاعر في بعض الأحيان كما يقول عمرو بن العلاء : "كان الشاعر في الجاهلية يقدم على الخطيب لفرط حاجتهم إلى الشعر الذي يقيد عليهم مآثرهم ، ويفخم شأنهم ، ويهول عدوهم ومن غزاهم ، ويهيب من فرسانهم ، ويخوف من كثرة عددهم ، ويهاجم شاعر غيرهم فيراقب شاعرهم ، فلما كثر الشعر والشعراء واتخذوا الشعر مكسبة ، ورحلوا إلى السوقة ، وتسرعوا إلى أعراض الناس صار الخطيب عندهم فوق الشاعر" ، ويقول الجاحظ : "كان الشاعر أرفع قدراً من الخطيب ،

وهم إليه أحوج لرده مآثرهم عليهم ، وتذكيرهم بأيامهم ، فلما كثر الشعراء وكثر الشعر صار الخطيب أعظم قدراً من الشاعر" (٣) ، وقد ذهب الدكتور شوقي ضيف إلى "أن تفوق الخطيب على الشاعر في الجاهلية يرجع إلى طائفة متشابكة من الأسباب ، منها أن الخطابة كانت من لوازم سادتهم الذين يتكلمون باسمهم في المواسم والمحافل العظام ، ومن أجل ذلك تقترن بها الحكمة والشرف والرياسة ، كما تقترن بها الشجاعة" (٤) .

كان العرب يستخدمون الخطابة في العصر الجاهلي لأغراض شتى ، منها المنافرات والمفاخرات ، والنصح والإرشاد ، والحث على القتال ضد الأعداء ، وفي الأسواق والمحافل ، والوفادة على الملوك والأمراء ، وعندما جاء الإسلام ، عرف العرب نوعاً جديداً من الخطابة أي الخطابة الدينية أولاً على لسان أخطب العرب قاطبة النبي الخاتم محمد ﷺ ، ثم على ألسنة خلفائه و دعاة الإسلام .

تطور فن الخطابة تطوراً ملحوظاً بسبب النشاطات السياسية والدينية في القرن الأول للهجرة وبلغ أوجها حتى نرى خطباء يلعبون دوراً هاماً في سياسة البلاد بمن فيهم حجاج بن يوسف ، وطارق بن زياد ، وزياد بن أبيه ، ومن الدعاة نرى اسم حسن البصري ، وفي العصور القادمة عندما مالت الفنون الأخرى إلى الزوال ، انحصرت الخطابة في الميدان الديني الضيق ، في خطب الجمعة والعيدين ، وفي هذا المجال الضيق أيضاً كانت قد تجمدت تجمداً حتى أصبح أغلب الخطباء يقرءون الخطب من كتب أعدت في عصور سابقة .

**الخطابة العربية في الهند قبل القرن العشرين :**

وبما أن الإسلام انتشر في الهند في عصور الانحطاط ، وهي كانت بعيدة عن مهد اللغة العربية ، كانت الخطابة العربية في الهند أيضاً تنحصر في خطب الجمعة والعيدين ، وهي عبارة حتى الآن عن عدة

مجموعات الخطب كتبت بصفة خاصة لهذا الغرض ، ومعظم هذه المجموعات تتكون من بعض الآيات والأحاديث والجمل الركيكة ، والخطيب في أكثر الأحيان يقرأ الخطب من إحدى هذه المجموعات وهو بنفسه لا يدري معاني ما يلقي فهو لا يفعل إلا يقرأ العبارة كآلة مبرمجة لا فهم فيها ولا إدراك .

عندما بدأت النهضة الحديثة في العلوم و الفنون في العالم العربي ، ودبت الحياة في اللغة العربية بالإضافة إلى الفنون الأخرى ، بدأ العلماء في شبه القارة الهندية أيضاً يتناولون لغة الجنة كلغة حية ، وكان تأسيس دار العلوم التابعة لندوة العلماء اللبنة الأولى في هذا المجال ، فهي أنجبت كتاباً كباراً جعلوا اللغة العربية وسيلة للتعبير عما في قلوبهم وخواطرهم ، وأثروا المكتبة العربية بكتبهم ومقالاتهم القيمة .

وكان لتطور الكتابة العربية ، أثر بالغ في الخطابة العربية أيضاً رغم كون الهند بعيدة عن بلاد العرب ، ولكن لا شك في أن الخطابة في معنى الكلمة لم تتطور إلا لدى عدد قليل من رجال يمكن عدهم على الأنامل رغم وجود طبقة من الإخصائيين باللغة العربية ، فمصطلح الخطيب لا ينطبق إلا على الذين يستطيعون إقناع مخاطبيهم ، وإلهاب مشاعرهم ، وإثارة عواطفهم ، وعلى الذين يستطيعون أن يجذبوا أنظار الناس إذا قاموا على المنصة ، ويغلبوا على مسامعهم ، ويسحروا خواطرهم ، ويهزوا نفوسهم هزاً ، والذي لا يترك أثراً في عواطف السامعين قد يكون عالماً كبيراً ، أو فيلسوفاً ، أو أديباً عظيماً ، أو إخصائياً باللغة العربية ولكن لا يسمى خطيباً .

**تباشير الخطابة العربية الحية :**

نجد تباشير الخطابة العربية في الهند في معنى الكلمة عند العلامة أنور شاه الكشميري الذي يعتبر من علماء الحديث والفقه الكبار في العصر الحديث ، إنه ولد في قرية "دودهوان" بولاية كشمير

الهندية ، وتلقى الدروس الابتدائية من والده ، ثم سافر إلى ديوبند ، وحصل على العلوم الدينية والأدبية في دار العلوم بها ، وتلمذ على الأساتذة الكبار منهم : الشيخ إسحاق الأمرتسري ، والشيخ خليل أحمد الأنبيتوي ، وشيخ الهند العلامة محمود حسن رحمهم الله ، إنه قام بمهمة التدريس في المدرسة الأمينية بدلهي ، ثم شد الرحال إلى مكة المكرمة للحج ، وهناك حصل على شهادة الحديث من الشيخ حسين بن محمد الطرابلسي ، وعندما عاد الهند تفرغ للتدريس بدار العلوم في ديوبند إلى أن تعين رئيس المدرسين في عام ١٣٣٢هـ عندما سافر العلامة محمود حسن للحج ، إنه توفي عام ١٩٣٣م بعد أن أصابه مرض ، من أهم مؤلفاته : "عقيدة الإسلام في حياة عيسى" ، و "إكفار الملحدين في ضروريات الدين" ، و "نيل الفرقدين في مسائل رفع اليدين" ، و "مشكلات القرآن" ، وقد جمع بعض تلامذته دروسه التي ألقاها خلال تدريس سنن الترمذي ، وخلال تدريس الصحيح للبخاري ، وتم نشر دروسه في الترمذي بعنوان : "العرف الشذى" ، ودروسه في صحيح البخاري بعنوان : "فيض الباري" في أربعة مجلدات ، وكل ذلك بالعربية ، وكان الشيخ يقرض الشعر أيضاً بالعربية ونماذجه متوافرة في الكتب ولكن هذا لا يعنينا هناك (٥) .

و قد عثرت على خطبة له كان قد ارتجل بها عندما زار العلامة رشيد رضا المصري مدير مجلة "المنار" دار العلوم بـ"ديوبند" ، وفي هذه الخطبة ألقى الضوء على طريقة تدريس الحديث في الدار ، وفيما يلي أورد اقتباساً من هذه الخطبة الذي يدل على مدى قدرته باللغة العربية وبصفة خاصة قدرته على الخطابة العربية الفصحى بدون أي تكلف :

"الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى ، أما بعد ! فيقدم الخويدم في الحضرة السامية تحية الإسلام وحياكم الله تعالى ، إنا آنسنا منكم مخائل الكرام والاعتناء بحالنا وأحسسنا بنهضة

إسلامية عطفت عليكم وعلينا ، وأنا أحوج إليكم منكم إلينا ، هؤلآء أساتذتي ، وأكابري ، وذخائري عند الله في يومي وغدي ، أمروني أن أمثل لك شكراً على إسداء الخير ، وتشريفكم إيانا بالقدوم المبارك ، أحسن الله إليكم وإلينا ، ورفع درجاتكم في الدين والدنيا والآخرة ، آمين وبه نستعين ، مولانا ! إن حديثنا حديث ذو شجون ، والشئ بالشئ يذكر ، إن بلادنا هذه على شقة بعيدة ومسافة شاسعة من بلاد الإسلام كالعراق والشام ومصر ، فكانت شعائر الإسلام على وهن ، ومنائر العلم على خفاء إلا ما شاء الله وقليل ما هم ، وإن عصابتنا هذه عصابة على طريقة قديمة ليست بحديثة ، أستادنا في الدين متصل بالصدر الكبير والبدر المنير والإمام الشهير والشيخ الأجل ولي الله بن عبد الرحيم الفاروقي الدهلوي ، وحال الشيخ أظهر من أن يذكر" (٦) .

وعندما نتقدم إلى الإمام قليلاً في القرن العشرين ، نجد أن الشجرة الأولى التي كانت غُرست في نهاية القرن التاسع عشر قد أثمرت خلال بضع سنوات .

في عام ١٩٠٧ ، عقدت حفلة أولى لتوزيع شهادات خريجي دار العلوم التابعة لندوة العلماء بلكناؤ ، ومن ميزة هذه الحفلة أن الإخصائيين من مجالات العلوم القديمة والحديثة كانوا يريدون أن يمتحنوا دعاوي ندوة العلماء الكبيرة في مجال التعليم والدراسة ، في هذه الحفلة ألقى السيد سليمان الندوي أحد خريجي ندوة العلماء في تلك السنة خطبة حول "المقارنة بين العلوم الجديدة والقديمة" باللغة الأردية ، وخلال الخطاب ، قام أحد الحاضرين بالجلسة وقال : لا نؤمن لعظمة ندوة العلماء في مجال التعليم إلا بعد أن يخطب هذا الطالب باللغة العربية مثلما يخطب باللغة الأردية ، فبدأ العلامة الندوي يلقي خطبته باللغة الأردية الفصحى بكل سلاسة وطلاقة ، وعندما انتهى من خطبته بالعربية ، قام أستاذه الكبير العلامة شبلي النعماني ، وقال : "لا يظن

أحد ، أن هذا الطالب كان قد أعد هذه الخطبة من قبل ، ومن يريد أن يمتحنه ، ويحدد له موضوعاً ، وهو سيخطب بالعربية حول الموضوع المحدد" ، فقام خواجه غلام الثقلين وطلب منه أن يخطب بالعربية حول : "كيف انتشر الإسلام في الهند" ، فألقى العلامة السيد سليمان الندوي خطبة باللغة العربية بكل طلاقة حول هذا الموضوع وترك الناس في حيرة واستعجاب ، فصاح الناس بالإشادة به ، وقام العلامة شبلي النعماني ، فاعتنق تلميذه هذا ، وخلع عمامته من رأسه و وضع على رأسه ، وبما أن هذه الحفلة كانت فتحت باباً جديداً في مجال تعليم اللغة العربية والعلوم الإسلامية في الهند ، ذاعت لها شهرة في جميع أنحاء الهند (٧) هذا الطالب الذي أثبت مواهبه وصلاحياته في هذه الحفلة ، عرف فيما بعد بالعلامة السيد سليمان الندوي ، وقدم خدمات جليلة في البحث والتحقيق في مجال التاريخ ، والسيرة ، والأدب ، والتفسير ، والحديث والفقه في السنوات القادمة وأصبح يعد من العبقريات الهندية في النصف الأول من القرن العشرين ، وطبقت شهرته الآفاق .

العلامة السيد سليمان الندوي كان من مواليد عام ١٨٨٤م ، وتلقى دروسه الابتدائية من شقيقه أبي حبيب ، ثم تلمذ على الشيخ محي الدين المجيبي لسنة ، ثم درس في المدرسة الإمدادية بـ "دربنغا" ، إنه سافر إلى لكناؤ والتحق بدار العلوم ندوة العلماء عام ١٩٠٢م ، وبقي فيها خمس سنوات حتى تخرج في عام ١٩٠٧م في ندوة العلماء ، إنه ارتغف من منابع العلماء الكبار منهم عبد اللطيف السنبهلي ، والسيد علي الزينبي ، والعلامة شبلي النعماني ، وكان تلمذته على الأخير أعني العلامة شبلي النعماني لم تكن تلمذة عابرة بل اختص به ولازمه ملازمة ، فإنه استفاد منه كثيراً وتولى مسئوليات دار المصنفين ، وأكمل سلسلة "سيرة النبي" التي لم يتمكن العلامة شبلي إلا من إكمال جزئين منها بسبب وفاته ، ومن أهم مؤلفات العلامة السيد

سليمان الندوي : "سيرة النبي" في خمسة أجزاء ، و "أرض القرآن" ، و "سيرة عائشة" ، و "سيرة مالك" ، و "خيام" ، و "حياة شبلي" ، و "عرب وهند كي تعلقات" ، و "عربون كي جهاز راني" (الملاحة عند العرب) ، إنه تولى نيابة تحرير مجلة : "الندوة" ثلاث مرات ، وشارك في تحرير صحيفة "الهلال" الشهيرة مع القائد أبو الكلام آزاد لسنة ، وتولى رئاسة تحرير مجلة : "معارف" أخيراً ، كان قد رافق وفد حركة "الخلافة" إلى لندن ، فرانس ، والقاهرة ، وقاد وفد "الخلافة" إلى الحجاز للمصالحة بين الملك عبد العزيز والشريف حسين ، إنه زار كابل على دعوة الملك نادر خان مع العلامة إقبال والسيد راس مسعود لتوجيه المعارف والتعليم ، إنه تولى رئاسة القضاء في إمارة بوفال ، رئاسة الجامعة الأحمدية على طلب النواب حميد الله خان والي بوفال ، منحته جامعة عليكراه الإسلامية شهادة الدكتوراة الفخرية في الآداب اعترافاً بمكانته العلمية وعلو كعبه في العلوم والآداب ، إنه زار باكستان على دعوة بعض أركان الحكومة ليشارك في وضع الدستور الإسلامي للحكومة الوليدة ، وقرر الإقامة هناك وبقي يقضي حياته في عفاف ، وقناعة وعزة نفس ويشتغل بكتابة المقالات لـ "مجمع فؤاد الأول" الذي اختاره عضواً مراسلاً له ، وبالذكر ، والعبادة والتربية والإفادة إلى أن وافاه الأجل عام ١٩٥٣م (٨) .

## أعلام الخطابة العربية في الهند :

لا نعبر العقد الرابع من القرن الماضي حتى نجد شخصية عالمية عبقرية لا تخطب في الهند ، بل تخطب أمام العرب في عقر دارهم وتتركهم في حيرة واستعجاب بقدرته على اللغة العربية ، وبفصاحة لسانه ، وبتأثيره على القلوب والأذهان ، وهذه شخصية العلامة الداعية الكبير الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي الذي تفرد في القرن الماضي بجهوده في إعادة ثقة المسلمين بالإسلام واشتهر بتبحره في

العلوم الإسلامية ، وبنظرته الوقادة ، وبإصابة رأيه ، إنه ولد في أسرة دينية علمية برائ بريلي الهند عام ١٩١٤م ، وتلمذ أولاً على والدته ثم على والده العلامة عبد الحي صاحب "نزهة الخواطر"، وعلى شقيقه الكبير الدكتور عبد العلي ، ثم سافر إلى لكناؤ ، وديوبند ، وسهارنفور ، ولاهور ، وشرب من مناهل العلم والفن في هذه المدن ، إنه تلمذ على الأساتذة الكبار في الهند ، فتلقى دروس الأدب العربي من الشيخ خليل عرب اليماني ، والشيخ محمد تقي الدين الهلالي المراكشي .

إنه تعين أستاذاً بدار العلوم التابعة لندوة العلماء عام ١٩٣٤م ، وقد نشر مقال له في مجلة "المنار" للسيد رشيد رضا المصري عام ١٩٣١م بعنوان : "الشهيد في بالاكوت" ، إنه قام بتدريس التفسير ، والحديث ، والأدب العربي ، والتاريخ ، وخلال تدريسه ألف كتباً لتدريس اللغة العربية في الهند بما فيها "القراءة الراشدة" في ثلاثة أجزاء ، و "قصص النبيين" في خمسة أجزاء ، و "مختارات من أدب العرب" في جزئين ، وتلقيت هذه الكتب بحفاوة بالغة في الأوساط الأدبية ، وأصبحت جزءاً من المقررات الدراسية في المدارس والكليات ، وكتابه : "مختارات" يعد بذرة أولى لدعوته إلى تأسيس رابطة الأدب الإسلامي ، إنه اختير وكيلاً لشئون التعليم بندوة العلماء إثر وفاة العلامة السيد سليمان الندوي عام ١٩٥٣م ، ثم تعين أميناً عاماً لندوة العلماء بعد وفاة أخيه الدكتور السيد عبد العلي الندوي عام ١٩٦١م وشغل هذا المنصب حتى وفاته عام ٢٠٠٠م ، إنه كان من أعضاء المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي ، ومن أعضاء المجلس الاستشاري لجامعة المدينة المنورة ، ومن أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق ، يبلغ عدد كتبه بالعربية حوالي/١٧٦ حسب القائمة التي أعدها الأستاذ محمد طارق زبير الندوي ، ومن أهم هذه الكتب : "ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين" الذي نشر لأول مرة عام ١٩٤٧م وسعى في إعادة ثقة المسلمين بالإسلام في

وقت كانوا قد فقدوا كل الأمل وبدأوا يسيلون في مجرى الثقافة الغربية بدون مقاومة ، تلقي هذا الكتاب في الأوساط الدينية والأدبية في العالم العربي بكل حفاوة وتعرف به العرب على شخصية العلامة ، وبما أننا بصدد الخطابة ، فلا نتناول هنا إلا ما يتعلق بالخطابة العربية .

كان العلامة الندوي خطيباً مصقعاً ، فصيح اللسان ، ذا أسلوب خلاب ، بليغ البيان ، قادراً على اللغة العربية قدرة كاملة ، خطبه مليئة بالحرارة الإيمانية ، وتدل على سهر الليالي لمصالح الأمة ، أسلوبه قوي ، جزيل يغلب عليه العنصر العاطفي الملتهب ، وخطبه - كما يقول الدكتور سلمان أسعد - "قوية مؤثرة صدرت عن قلب مؤمن ، وأنها نفحة من نفحات الداعي إلى الله بروحه وقلبه ، ودعوة صريحة إلى الرباط الدائم ، والسهر على مصالح الأمة .. وهي تضرب على الوتر الحساس ، وتحرك القلوب ، وتنير العقول ، وترسل الضوء على الطريق ، وتبعث على التفكير من جديد في قضايا الإسلام والمسلمين ، وهي تدور حول العرب والمسلمين" (٩) .

ولإلقاء الضوء على أسلوبه وقدرته على البيان ، وفكرته الوقادة ، نعرض هناك اقتباساً من خطبته التي ألقاها في مؤتمر رابطة العالم الإسلامي الذي عقد في مكة المكرمة ، وذلك بحضور السيد ياسر عرفات من فلسطين ، والشيخ عبد رب الرسول من أفغانستان ، أحدهما كان يرى إلى الاتحاد السوفيتي كمنقذ ، وآخرهما كان يقاتل ضد نفس الاتحاد المحتل ويرى إلى الولايات المتحدة كمنقذ ، وهذه الخطبة مليئة بروح الجهاد ، والقوة الإيمانية والثقة بالإسلام والمسلمين .

"...أنتم تملكون أكبر ثروة ، والله لا تملكها أمريكا ، والله لا تملكها روسيا ، تلك ثروة الإيمان ، تلك ثروة الإيمان الدافقة ، التي استطاعت أن تقهر العالم كله ، وأن تكوّن حضارة من أقوى الحضارات ، وتكوّن دولة من أكبر الدول الإمبراطورية ، وهذه الثروة موجودة والحمد لله ، أقول هذا في رحاب البيت العتيق ، ولكنها تحتاج

إلى إثارة ، تحتاج إلى تحريك ، تحريك صادق مؤمن ، وفيكم الأمل ، إننا نحن المسلمين والحمد لله أغنى من كل الأمم ، وأقوى من كل الأمم ، تاريخنا طاهر ، تاريخنا نزيه ، لم تتلوث أيدينا ولا أجسادنا بدماء البرية أبداً ، فكن على ثقة أيها الأخ الكريم أن وراءك جيشاً عَرَمرَماً من المسلمين ، من القلوب المؤمنة ، من الأرواح السعيدة ، من الذين يستهينون بحياتهم ، ويستهينون بكرامتهم في سبيل الله . وهي وراءكم وأمامكم إن شاء الله ، وتأخذون منه ما هو أغنى وأقوى وأثمن من كل سلاح تأخذونه من أي قوة كبيرة" (١٠) .

ومن الأسماء اللامعة الأخرى في هذا المجال في الهند ، والذين ينطبق عليهم اسم الخطيب في أوسع معناه الشيخ وحيد الزمان الكيرانوي ، والشيخ سعيد الرحمن الأعظمي الندوي مدير مجلة "البعث الإسلامي" ، والأستاذ نور عالم خليل الأميني مدير مجلة "الداعي" ، والأستاذ سلمان الحسيني الندوي .

**الأستاذ وحيد الزمان الكيرانوي** من الإخصائيين المعدودين باللغة العربية الذين حصلت لهم قدرة كاملة على اللغة العربية كتابة وخطابة معاً ، إنه أثرى المكتبة العربية في الهند بتأليف عدة قواميس ومعاجم باللغة العربية والأردية ، إنه ولد بقرية "كيرانه" في مديرية "مظفرناغر" عام ١٩٢٩م في أسرة علمية ، وتلقى دروسه الأولى في مدرسة قريته ، ثم سافر إلى مدينة "حيدرآباد" ، وتلمذ على الأستاذ مأمون الدمشقي حتى حصلت له القدرة الفائقة في اللغة العربية ، ثم رجع إلى وطنه والتحق بدار العلوم بديوبند ، وتخرج فيها عام ١٩٥٣م خلال دراسته بدار العلوم ، تحمل مسئوليات استقبال الزائرين العرب ، وكان يعد دروساً ويلصقها على الجدار بعنوان : "سلسلة الدروس العربية" لتطوير الذوق العربي في الطلاب ، إنه تعين أستاذاً للغة العربية في دار العلوم عام ١٩٦٣م ، ورغم انشغاله بالتدريس إنه توجه إلى إعادة القواميس والمعاجم باللغة العربية والأردية ، نظراً لاحتياجات الطلاب ،

إنه أعد قاموساً في جزئين بعنوان : "القاموس الجديد" الجزء الأول تشتمل على المعاني العربية للكلمات الأردية ، والجزء الثاني بالعكس ، إنه قام بتأليف معجم في جزئين يحتوي على المصطلحات الحديثة المتداولة في الصحف بعنوان : "القاموس الاصطلاحي" الجزء الأول يعرض معاني المصطلحات العربية بالأردية والجزء الثاني بالعكس ، إنه قام بتأليف معجم شامل على منوال "المعجم الوسيط" بعنوان : "القاموس الوحيد" ولكن وافته المنية في عام ١٩٩٦م قبل أن ينشره ، وقد نشر بعد وفاته باعتناء أخيه الشيخ عميد الزمان الكيرانوي رحمه الله ، إن هذه القواميس التي ملأت فراغاً في الهند ، لم تكن إلا تلبية لاحتياجات طلاب اللغة العربية في الهند ، فتهافت عليها الطلاب تهافتا .

إنه كتب سلسلة لتدريس اللغة العربية بعنوان : "القراءة الواضحة" التي قررت في المناهج الدراسية في الكليات والمدارس في الهند ، وكذلك قام بتأليف "نفحة الأدب" على إشارة من المجلس الاستشاري لدار العلوم لتدريس المنتخبات من كتابات الأدباء العرب على الطريقة الحديثة ، كان مديراً لمجلة : "دعوة الحق" ، وعندما احتجبت هذه المجلة ، تحمل مسئوليات إدارة مجلة "الداعي" الشهيرة لعدة شهور ، تولى أيضاً رئاسة تحرير مجلة : "الكفاح" الناطقة بلسان جمعية علماء الهند ، وخلال تدريسه بدار العلوم ، إنه أسس نادياً لترويج اللغة العربية باسم "النادي العربي" ،وكان الطلاب يقومون بمسابقات الخطابة تحت هذا النادي (١١) ، ومن الأسف الشديد ، لم أعثر على نموذج لخطابته فلا أتمكن من أن أحكم على أسلوبه .

**الأستاذ سعيد الرحمن الأعظمي الندوي (*) :**

. خطيب مفلق ، جهير الصوت ، قوي اللهجة ، بليغ البيان ،

---

(*) لم أطلع على ما جاء تحت هذا الاسم إلا وكان العدد ماثلاً للطباعة .

سعيد الأعظمي

ويعتبر أيضاً من أعمدة الصحافة العربية في الهند، إنه ولد في مدينة "مئو" في أسرة علمية في عام ١٩٣٤م ، وحصل على الدراسة الابتدائية في جامعة مفتاح العلوم في مسقط رأسه ، ثم التحق بدار العلوم التابعة لندوة العلماء ، وتلمذ على والده العظيم العلامة المحدث الشيخ محمد أيوب الأعظمي قبل أن يلتحق بدار العلوم لندوة العلماء ، وتلمذ على العلامة أبي الحسن علي الحسني الندوي ، بصفة خاصة ، وحصل على شهادة الاختصاص في اللغة العربية والشريعة الإسلامية ، سافر إلى بغداد في عام ١٩٥٨م ولازم الدكتور محمد تقي الدين الهلالي ما يقرب سنة كاملة واستفاد منه ، إنه عين أستاذاً للغة العربية في دار العلوم في عام ١٩٥٥م ، واشتغل بالتدريس حتى أصبح عميد كلية اللغة وآدابها بنفس الدار ، وفي بداية العقد الأخير من القرن الماضي إنه اختير مدير دار العلوم ولا يزال يتقلد هذا المنصب ، إنه تولى رئاسة تحرير مجلة : "البعث الإسلامي" الغراء ولا يزال يصدرها منذ أكثر من نصف قرن على المستوى العالي ، قد شرفته جامعة ندوة العلماء بشهادة الدكتوراة على ما قدمه من بحث حول : (شعراء الرسول ﷺ) ، وفي عام ١٩٩٤م شرفه رئيس الجمهورية الهندية بوسام اعترافاً لخدماته في مجال اللغة العربية وآدابها في الهند ، من آثاره الهامة "شعراء الرسول بين الواقع والقريض" و "ساعة مع العارفين" ، و "الدعوة الإسلامية منجزاتها ومشكلاتها ، طرق المعالجة" و "محدث الهند الكبير العلامة حبيب الرحمن الأعظمي" و "علم التصريف" و "أسوة حسنه كي آئينه مين" و "تذكرة أهل دل" و "نظام تقسيم الثروة في الإسلام" (ترجمة بالعربية) ، أما مقالاته التي تنشر في مجلة "البعث الإسلامي" ومجلة "الرائد" ، والمجلات العربية الأخرى منذ أكثر من نصف قرن فهي لا تحصى (١٢) .

إنه خطيب وإمام بالمسجد الجامع الكبير برحاب ندوة العلماء وخطبه تجلب الناس من أطراف ونواحي مدينة لكناؤ يوم الجمعة لأنها

نابضة بالحياة وتتناول القضايا الراهنة وتسعى في عرض الحلول لمشكلات المسلمين في الهند وفي الخارج ، عندما يخطب يبدو صوته كأنه زئير الأسد ، ورعد البرق ، وتجد الناس كأن على رؤوسهم الطيور ، ويقول الدكتور محمد إرشاد الندوي عن مهارته الخطابية : "إن خطبه الملتهبة ذات العاطفة القوية يترك الخطباء العرب أيضاً في حيرة واستعجاب" (١٣) ، يغلب على أسلوبه العاطفة الدينية ، والحرارة الإيمانية ، إنه يستخدم المترادفات كثيراً لإثبات قوله وموقفه ، ورغم أن عمر الشيخ يناهز ثمانين عاماً ، لا يوجد ضعف في صوته الرصين وسعدت مؤخراً باستماع خطاب له عندما حضر الأستاذ جامعة دلهي في مؤتمر ، و وجدت أنه رغم حضور إخصائي اللغة العربية الكثيرين الذين جاءوا من أكناف الهند ، ليس هناك أحد يباريه في الخطابة ، وخلال دراستي بندوة العلماء عندما بدأت أفهم اللغة العربية وأدركت النعمة التي أسبغ علينا الله وهي السماع إلى خطبه باللغة العربية الحية الفصحى ، فالهند بلاد لا تسمع في مساجدها إلا الخطب التقليدية لا حياة فيها ولا نشاط ، وأذكر حتى الآن بعض أصدقائي وزملائي الذين كانوا يقومون بتسجيل خطبه كل يوم الجمعة ، ويحفظونها ويرددونها ، (بارك الله في حياته وصحته) وفيما يلي اقتباس من خطبته التي ألقاها بالمسجد الجامع في رحاب ندوة العلماء في الجمعة الأولى من شهر يناير عام ٢٠١١م ، وهذا الاقتباس يدل على أسلوبه واتجاهه .

"... أيها الإخوة المؤمنون ! إن هذ الحياة التي نعيشها نحن في هذه الدنيا ، إنما خلقها الله سبحانه وتعالى في الواقع كسلسلة طويلة للاختبارات والامتحانات ، وفيها منعطفات ومنعرجات ، وفيها طرائق ملتوية ، وفيها أطراف ذات ألوان وأنواع ، ولكن الإنسان قلما يتفكر في هذه الحقيقة ، وطالما يتيه في واد طويل عريض ، إنه هنا يفكر في ذلك المصير الذي سوف يصير إليه في يوم من الأيام ، ويعيش في غفلة عن

الغاية المطلوبة المنشودة من الحياة ، يعيش في ظلام عن ذلك الهدف الأصيل الذي بينه الله سبحانه وتعالى وتوخاه من حياة المسلم ، ولعل الله سبحانه وتعالى قد أشار إلى ذلك في كتابه العظيم ؛ فقال : "فَلاَ صَدَّقَ وَلاَ صَلَّى ❖ وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى ...إلخ" ، أيها الإخوان ! إن المؤمن الصادق المحب لله تبارك وتعالى ، والمقبل على الآخرة لا يغفل ذلك الهدف الأصيل الذي خلق من أجله ، إنه لا يغفل ، ولا ينسى مكانته في هذه الدنيا ، وموقفه من الآخرة ، بل إنه يستوحش من الدنيا وزهرتها ، ويستأنس بالآخرة ويرجو نعيمها ، ويتمنى على الله تبارك وتعالى أن يكتب له حسن الخاتمة وخير العاقبة ، إنه يتمنى من الله تبارك وتعالى أن يجعل آخرته خيراً من الأولى ، إنه يعيش في هذه الدنيا ولكنه ينظر إلى الآخرة ، إنه لا يتناسى في أي حال من الأحوال أن له رجعة إلى الله تبارك وتعالى حيث يقف أمامه ويناقش ، فإنه يتصور ذلك ، ويعتقد فيه ، ويؤمن به ، ثم يعد نفسه للوقوف عند الله تبارك وتعالى ، ويعد نفسه للذهاب إلى الآخرة بالأعمال الصالحة ، ويتبادر بالأعمال الصالحة التي تكون له زاداً يوم القيامة بإذن الله تبارك وتعالى ..." .

**الأستاذ نور عالم خليل الأميني** : مدير مجلة : "الداعي" العربية ، من الكتاب والأساتذة الكبار باللغة العربية في الهند ، يجري لسانه بالعربية مثلما يجري قلمه على القرطاس ، إنه ولد عام ١٩٥٢م في إحدى قرى مديرية "مظفرفور" ، قد حصل على شهادة العالمية في الشريعة الإسلامية من دار العلوم بديوبند ، ثم حصل على شهادة التخصص في الأدب العربي وتعين مدرساً للغة العربية في دار العلوم ندوة العلماء ، وقام بخدمات التدريس ما بين ١٩٧٢-١٩٨٠م ، ثم تعين أستاذاً للأدب العربي في دار العلوم بديوبند ولا يزال يشتغل بالتدريس في نفس الدار ، إنه تولى رئاسة تحرير مجلة "الداعي" بعد الأستاذ بدر الحسن القاسمي ولا يزال يصدرها بكل نظام على المستوى الجيد ، وكلماته التحريرية

الجريئة وافتتاحياته الصريحة في هذه المجلة تجدر بأن تقرأ ، من أهم تأليفاته بالعربية : "الصحابة ومكانتهم في الإسلام" و "مجتمعاتنا المعاصرة والطريق إلى السعادة والقيادة" ، و "الدعوة الإسلامية بين الأمس واليوم" ، و "مفتاح العربية" ، وله أعمال مترجمة ومقالات لا تحصى ، وقد تم نشر مجموعة مقالات له تناول فيها القضية الفلسطينية بعنوان : "فلسطين في انتظار صلاح دين" (١٤) .

الأستاذ سلمان الحسيني الندوي عالم شاب ، وخطيب بارع جريئ ، حلو البيان ، يحلو صوته للآذان ويحرك أوتار القلب ، ويترك أثره على القلوب والأذهان ، إنه ولد عام ١٩٥٤م بمدينة لكناؤ ، وحصل على شهادتي العالمية والتخصص من ندوة العلماء ، وارتغف من منابع الأساتذة الكبار هناك منهم العلامة أبو الحسن علي الندوي ، والأستاذ محمد الرابع الحسني الندوي ، والأستاذ سعيد الرحمن الأعظمي الندوي ، والفقيه برهان الدين السنبلي الندوي ، والمحدث محمد أويس النغرامي ، ومن أهم آثاره "العلاقات بين الهند والعرب" و الأمانة في ضوء القرآن" و "أصول الحديث" ، إنه قام بنقل بعض الكتب العربية إلى الأردية وبالعكس ، ومن أهم أعماله المترجمة : "الفوز الكبير في أصول التفسير" للشاه ولي الله الدهلوي ، فهو قام بترجمته من الفارسية إلى العربية في لغة فصيحة وأسلوب جاذب ، قرر هذا الكتاب في المنهج الدراسي في ندوة العلماء ، إنه يدير مدرسة بقرية "كتولي" في ضاحية من ضواحي مدينة لكناؤ باسم "جامعة الإمام أحمد بن عرفان الشهيد" وفي الحال يتولى منصب عميد كلية الدعوة والإعلام بدار العلوم لندوة العلماء ، إنه يدعى من أطراف العالم لإلقاء الخطب والمحاضرات في المؤتمرات ، فهو صاحب رحلات كثيرة .

يغلب على خطبه الاتجاه الإسلامي ، والإصلاحي ، والديني ، وهو يراعي المناسبات ويتمكن من استخدام الكلمات المترادفة حسب

الحاجة ، بل يزين خطاباته بها ، يقول الدكتور محمد إرشاد الندوي عن مهارته الخطابية : مثل كتاباته ، خطبه العربية أيضاً قوية وحلوة إلى حد أن لا يظن أحد أنه عجمي ، وخطبه بالعربية سلسة يتمنى المستمعون أن لا ينقطع عن الكلام ويستمر في خطابه " (١٥) وبما يلي اقتباس من خطابه الذي ألقاه في مؤتمر عقد حول العنوان : "النظام التعليمي المطلوب" .

"الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين وآله وصحبه أجمعين ، أما بعد ! حضرة الرئيس المحترم بهذه الجلسة الطيبة الصباحية ، إخوتي وأحبائي في الدين ... إن المنهج التعليمي الذي درسناه في كتاب الله تبارك وتعالى ، والذي طبقه المصطفى صلوات الله وسلامه عليه ، من اليوم الأول عندما نزل عليه الوحي الأول من كتاب الله تبارك وتعالى في غار حراء إلى آخر يوم من حياته صلوات الله وسلامه عليه ، إنه منهج يبدأ بقوله تبارك وتعالى ، وقد اختار الله عزوجل آيات من سورة العلق لينزلها على هذا النبي المختار الذي أُرسل للعالمين جميعاً ، وقد اختار الله تبارك وتعالى من هذا المصحف الذي كان في اللوح المحفوظ ، ثم أُنزل إلى سماء الدنيا ، وأُمر جبرائيل أن يحمل هذه الآيات الأولى من سورة إقرأ ، هي الآيات التي وضعت المنهج الدراسي ، والتي جاءت بالثورة العملاقة العلمية التعليمية العظيمة في الدنيا المعاصرة للنبي المصطفى صلوات الله وسلامه عليه ، ذلك العالم المعاصر الذي كشف الله تبارك وتعالى عن خفاياه وعن خباياه والذي كشف الله تبارك وتعالى عن سوءاته وعن سيئاته ، وعن أمراضه ، فقال سبحانه وتعالى : "ظَهَرَ الْفَسَادُ فِيْ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيْ النَّاسِ ..."، لقد كان الفساد مستتراً ومنتشراً ، الفساد في كل المجالات ، كان هذا الفساد سائداً على الدولة الساسانية الإيرانية ، والدولة الرومية البيزنطية ، ودولة الهند القديمة ، ودولة مصر ، ودولة عراق ، كانت الحكومات ، وكان الحكام ، وكان العامة من

الناس في جاهلية جهلاء ، يعيشون هذا الفساد المستشري في كل مجالات الحياة، وإذا بالله تبارك وتعالى أراد أن يبعث هذا النبي المختار، بدأ بهذه الآيات الأولى التي وضعت أساس المنهج التعليمي الدراسي ، وليس هذا المنهج التعليمي - وأستميحكم عذراً - للكتاتيب والمدارس والجامعات الإسلامية حسب المصطلح الذي جرينا عليه ، لم يكن هذا المنهج لهذه المدارس المحدودة الخاصة ، كان هذا المنهج التعليمي للعالم كله للإنسانية كلها ... لقد كان الله تعالى يخاطب بهذا المنهج البشر جميعاً ، الخاصة والعامة" (١٦) .

وأورد مقطعاً آخر بالتالي :

"وبهذه المناسبة الكريمة ، أيها الإخوة ! أنا قد هنأتكم ، وأهنأكم مرة أخرى بسقوط طاغية حسني غير المبارك ، سقط الطاغية ابن علي في تيونس ، وسقط هذا الطاغية في مصر ، وسيسقط الطغاة الآخرون الجبابرة المستبدون الذين ظلموا ، وقعدوا ، وعذبوا ، وآذوا بكل الوسائل الوحشية ، سيذهبون إن شاء الله ، وكما قال الأستاذ القرني : الفجر قادم ، والليل الحالك سيذهب ، سينجلي الصبح ، سيأتي - إن شاء الله - الإسلام حاكماً على الشعوب الإسلامية ، وقد سارت الشعوب الإسلامية ، وخرجت ، وسجدت لله تعالى في ميدان التحرير ، وفي ميادين أخرى ، وسيسجدون - إن شاء الله - في البرلمانات ومجالس الأمة" (١٧) .

**مستقبل الخطابة العربية في الهند :**

بما أن عدداً كبيراً من المدارس الكبرى قد بدأت تعتني بتدريس اللغة العربية كلغة حية ، وكذلك خصصت الجامعات الرسمية المختلفة كراسي لهذه اللغة ، فممكن أن نتمنى مستقبلاً باهراً للخطابة العربية في هذه البلاد ، ونتوقع أن يوجد هناك الخطباء الذين لهم قدرة فائقة باللغة العربية ، ومن الجدير بالذكر ، أن عدداً من

المساجد الكبرى في الهند قد أصبحت في العصر الراهن تحظى بإمامة الأئمة الذين يلقون الخطبة مشافهة بدون النظر في الكتب المتداولة للخطابة ، فبعضهم يحفظون عدة خطب ويكررونها في كل جمعة ، وبعضهم يعدون الخطب بأنفسهم ، لأنهم من خريجي المدارس الكبرى ، ولهم إلمام باللغة العربية إلى حد ما .

---

## المصادر والمراجع :


(١) البسطاني ، بطرس ، محيط المحيط ، مكتبة لبنان بيروت ، سنة ١٩٨٣م : ص/٢٤٠ .

(٢) سلمان أسعد ، الخطابة العربية في العصر الحديث : قيمتها الأدبية ودورها في المجتمع ، رسالة الدكتوراة ، الجامعة الملية الإسلامية ، نيودلهي ، سنة ٢٠٠٦م : ص/٢٤ .

(٣ـ٤) الدكتور شوقي ضيف ، الفن ومذاهبه في النثر العربي ، ط/٢ ، دار المعارف القاهرة ، سنة ١٩٦٠م : ص/٢٨ .

(٥) الحسني ، عبد الحي ، نزهة الخواطر ، الجزء الثامن ، ط/١ ، دار بن حزم للطباعة والنشر بيروت ، سنة ١٩٩٩م : ص/١١٩٨ـ١١٩٩ .

(٦) الفاروقي ، الدكتور زبير أحمد ، مساهمة دار العلوم بديوبند في الأدب العربي حتى عام ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م ، دار الفاروقي للطباعة والنشر نيودلهي ، سنة ١٩٩٠م : ص/٥٩ـ٦٠ .

(٧) السيد صباح الدين عبد الرحمن ، سوانح حيات ، في مجلة "معارف" ، العدد الممتاز عن العلامة السيد سليمان الندوي أعظم كراه ، مايو ١٩٥٥م/رمضان ١٣٧٤هـ : ص/٧ .

(٨) الحسني ، عبد الحي ، نزهة الخواطر ، الجزء الثامن ، ط/١ ، دار بن حزم للطباعة والنشر بيروت ، سنة ١٩٩٩م : ص/١٢٣٥ـ١٢٣٨ .

(٩) سلمان أسعد ، الخطابة العربية في العصر الحديث : قيمتها الأدبية ودورها في المجتمع ، رسالة الدكتوراة ، الجامعة الملية الإسلامية ، نيودلهي ، سنة ٢٠٠٦م : ص/٣٣٥ .

(١٠) الندوي ، جعفر مسعود ، أمر لا يقبله العقل ولا يرضى عنه القلب ، في مجلة "الرائد" ، العدد/٢٤ السنة ٥٤ ، ٦/شعبان لكناؤ : ص/٤ .

(١١) الدكتور أشفاق أحمد ، مساهمة الهند في النثر العربي خلال القرن العشرين ، مكوف برنترس دلهي ، عام ٢٠٠٣م : ص/٣٢٦ .

(١٢ـ١٣) الندوي ، الدكتور محمد إرشاد ، آزاد هندوستان مين عربي زبان وأدب ، مطبعة إتش إيس آفسيت دلهي ، سنة ٢٠٠٩ : ص/٢١٢ـ٢١٣ .

(١٤) نفس المصدر : ص/٣٩٠ـ٣٩٢ (١٥) نفس المصدر : ص/٢١٣ـ٢١٤ .

(١٦) الندوي ، الأستاذ سلمان الحسيني ، موقع يوتيوب ، تاريخ الصفح ٢٠١٣/٣/٢٦م ، الرابط http://www.youtube.com/watch?v=TGC4iTsrhAs .

(١٧) الندوي ، الأستاذ سلمان الحسيني ، موقع يوتيوب ، تاريخ الصفح ٢٠١٣/٣/٢٦م ، الرابط http://www.youtube.com/watch?v=aPXipLx-pEA

# المقاصد الشرعية لأحكام الأغذية والأدوية

(الحلقة الثانية الأخيرة)

بقلم : الأستاذ عبد الباسط الندوي

(المعهد العالي للتدريب في القضاء والإفتاء، بتنا، الهند)

## ذكاة الحيوان وآلاتها :

إن الحيوان الذي يحل أكله هو أيضاً لا يحل إلا بالذكاة الشرعية ، والشريعة الإسلامية قد حددت للذكاة أسساً وقواعد لا يحل بدونها ، فيحلو لنا أن ننقل بتمامه في هذا الصدد قرارات مجمع الفقه الإسلامي بالهند التي صدرت بعد المناقشة بين العلماء الأفاضل في ضوء الكتاب والسنة وتراث الفقه الإسلامي.

## القرارات : الذبح بأنواعه وصوره الحديثة :

المحور الأول :

١- "الذبح" في اللغة : الشق ، وفي الشرع : قطع الحلقوم والمريئ والودجين ، أو أكثر هذه العروق ، في الحيوان المقدور عليه ، والجرح في أي موضع من جسده في الحيوان غير المقدور عليه.

٢- : للذبح قسمان : الذبح الاختياري والذبح الاضطراري .

والذبح الاختياري يكون بقطع أربعة عروق : الحلقوم والمريئ والودجين أو أكثرها ، وذلك في الحيوان الذي يكون وقت الذبح تحت قدرة الذابح ، يطبق في الحيوانات الإنسانية الذبح الاختياري عامة ، إلا إذا ند الحيوان .

والذبح الاضطراري يكون بإصابة الحيوان في أي موضوع من جسده ، وذلك في الحيوانات التي لا تكون وقت الذبح تحت قدرة الذابح ، فيطبق في الحيواناتْ الوحشية (الصيود) الذبح الاضطراري ، إلا أن يصبح حيوان وحشي إنسياً أو جاء تحت قدرة الذابح حياً .

٣- الشروط المشتركة لكل النوعين من الذبح هي كما يلي :

١- كون الذابح مسلماً أو كتابياً .

٢- كون الذابح عاقلاً .
٣- ذكر اسم الله وقت الذبح .
٤- عدم ذكر اسم غير الله مع اسم الله .
٥- كون الحيوان حياً وقت الذبح .
٦- كون زهوق روح الحيوان بمحض الذبح .
٧- كون آلة الذبح حادة وقاطعة .

**شرائط خاصة للذبح الاختياري :**

١- التسمية على المذبوح المعين .
٢- قطع العروق المعينة .
٣- عدم الفصل الطويل بين التسمية وعمل الذبح .

**شرائط خاصة للذبح الاضطراري :**

١- أن لا يكون الصائد محرماً .
٢- أن لا يكون الحيوان من صيد الحرم .
٣- أن لا يكون الحيوان أو الطير الصائد معلماً .
٤- التسمية عند إرسال الحيوان على الصيد أو إرسال الرمي .
٥- موضع الذبح الاختياري إلا عند استحالة الذبح الاختياري ، فلا يجوز الذبح الاضطراري في مواضع الذبح الاختياري .

المحور الثاني :

١- تشترط الأهلية في الذابح ، وهي أن يكون عاقلاً ، بالغاً ومميزاً – إذا كان صبياً – ، مسلماً أو كتابياً.
٢- المراد من الكتابي من عندهم كتاب سماوي يصدقه القرآن ، واليهود والنصارى أهل الكتاب في هذا العصر .
٣- من يسمي نفسه اليوم يهودياً أو نصرانياً يعتبر كتابياً ، وتحل ذبيحته إلا أن يتيقن بكونه ملحداً ومنكراً لله .
٤- لا تحل ذبيحة القادياني ، سواء يسمي نفسه أحمدياً أو لاهورياً .
٥- من اللازم وجود حقيقة شرعية للذبح سواء أكان الذابح مسلماً أم كتابياً ، فكل صورة يهلك فيها الحيوان مباشرة أو بواسطة الماكينة بحيث لا يمكن اعتبار ذلك ذبحاً شرعياً ، فلا يسمى الحيوان الهالك ذبيحة

ولا يحل ، مثل إن كان مقدوراً عليه بإطلاق الرصاص أو بإحراق موضع الذبح بالتيار الكهربائي ، أو إخراج دمه بجرح في موضع آخر من جسده ، أو غير ذلك من الصور .

المحور الثالث :

١- ينبغي ذكر اسم الله تعالى عند الذبح وفقاً للشريعة ، وإذا ذكر اسم غير الله على المذبوح فلا يحل .

إذا ذبح حيوان ولم يسم عليه ، في ذلك إما أن يكون سهواً أو عمداً ، فإذا تركت التسمية عليه سهواً حلت تلك الذبيحة ، وإذا تركت عمداً ، ففي مذهب الجمهور لا تحل تلك الذبيحة .

وعند الإمام الشافعي – رحمه الله – إذا تركت التسمية استخفافاً لم تحل الذبيحة ، أما إذا لم يكن قصد الاستخفاف ولكن ترك التسمية عمداً فلأن التسمية سنة عنده تحل مثل هذه الذبيحة ، وليعلم أن التسمية واجب عند جمهور الفقهاء ، وسنة عند الإمام الشافعي - رحمه الله - وفي كلام الحالين ، سواء أكانت التسمية واجبة أم مسنونة ، فالظن بكل مسلم أنه لا يذبح تاركاً التسمية عمداً ، فما دامت الذبيحة لمسلم كائناً من كان ، فإننا لم نكل بالثبت والتحقيق من أنه هل ترك التسمية عمداً أم لا ؟ لذا فإنه ينبغي اعتبار ذبيحة كل مسلم حلالاً .

٢- التسمية واجبة على عملية الذبح فإذا تعدد العمل تعددت التسمية ، وإذا كان العمل واحداً كفت تسمية واحدة ، مثال ذلك أنه لو بدأ أحد بذبح حيوان بالتسمية ، ولكنه هرب قبل تمام الذبح ، ففي ذبحه مرة ثانية تجب إعادة التسمية ، ولو أمرَّ السكين مرة واحدة ، وتم ذبح عديد من الحيوانات في وقت واحد بعمل الذبح الواحد ، كفت تسمية واحدة .

ويجب في الذبح الاختياري كون المذبوح معلوماً ومعيناً عند الذبح والتسمية ، فلو سمي بنية حيوان معلوم ، أو بعض الحيوانات المعلومة ، وذبحت مكانها حيوانات أخرى فلا تحل هذه الذبائح .

٣- يشارك أحياناً في عمل الذبح أكثر من شخص واحد ، مثلا لو أمسك شخصان بقبضة السكين أو كانت هناك فوق يد شخص ضعيف يد شخص آخر ، ففي هذه الصورة تجب التسمية على الشخصين : الذابح

ومعينه ، وليس القابض على أيدي وأرجل ورؤوس الحيوانات معيناً في الذبح .

المحور الرابع :

من الرائج اليوم أن الحيوان يخدر بالصعق الكهربائي أو بأي شيئ آخر قبل الذبح ، ويعتبر ذلك تخفيفاً للألم والأذى عن الحيوان ، والندوة لا تؤيد هذا المنظور ، والأولى هو ذبح الحيوان بدون التخدير .

ولكن إذا كان التخدير رائجاً في منطقة ، ويذبح الحيوان فيها بعد التخدير ، ويحصل التأكد من أن استخدام الصدمة الكهربائية أو الوسائل الأخرى للتخدير ، تم بحيث طرأ عليه الإغماء فقط ولم يمت الحيوان ، وأن تطبيق التيار الكهربائي يتم بحيطة كاملة تغمي الحيوان ولا تؤدي إلى موته ، ثم يذبح هذا الحيوان المخدر فإنه يجوز أكله.(١) .

**الأعضاء المحرمة من الحيوان المذكى :**

وليس في الشريعة الإسلامية أن يتناول بالأكل جميع الأعضاء من الحيوان الحلال بعد التذكية بل هناك بعض الأعضاء منه ما هو حرام بسبب ما يضر ببدن الإنسان سواء كان طاهراً بذاته كالشعر أو نجساً كالروث والفضلات ، وعن مجاهد قال : كره رسول الله صلى الله عليه وسلم من الشاة سبعاً : المرارة والمثانة والغدة والحياء والذكر والأنثيين والدم (٢) ، لذا تحرم هذه الأجزاء من الحيوان المباح (٣) .

كذا يحرم أكل عضو انفصل من الحيوان أثناء حياته أو قطع منه ، فروي عن أبي واقد الليثي رضي الله عنه أنه قال : قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وبها ناس يعمدون إلى أليات الغنم وأسنمة الإبل يجبونها فقال : "ما قطع من البهيمة وهي حية فهو ميتة" (٤) .

فعلى ضوء هذا النص أجمع الأئمة والفقهاء على حرمة ما قطع من الحيوان وهو حي .

---

(١) التذكية وصورها وأنواعها المختلفة في الشريعة الإسلامية : ٢٥٠ – ٢٥٥ .

(٢) كتاب الآثار للإمام محمد : ٧٧٧ .

(٣) بدائع الصنائع : ٦١/٥ .

(٤) السنن الكبرى للبيهقي : رقم الحديث : ٧٨ .

**الأغذية النباتية :**

وهي سائل ما ينبت من الأرض من ثمار وأشجار وأعشاب وزروع وفواكه ، فليست هناك محظورة منها إلا إذا كانت سامة مضرة بالعقل أو بالبدن كما أن الجمادات تحرم منها ما يضر الصحة أو العقل كالطين والحجر والفحم والزجاج والحديد وأمثال ذلك ، فنظراً إلى جانب المضرة منها قال العلامة الحصكفي رحمه الله : "ويحرم أكل البنج والحشيشة والأفيون لأنه مفسد للعقل ويصد عن ذكر الله وعن الصلاة" (٥) .

وكذا ينبغي حكم داتورة ، فإنها أيضاً من المسكرات ، وأمَّا التمباك والتدخين والشيشة ، فلا تخلو من الكراهة ، وقد أفتى بعض العلماء بحرمتها ، روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن كل مسكر ومفتر ، والمراد بالمفتر ما يضر بالجسم ويضعفه وإن لم يسكره (٦) .

وأما غير هذه النباتات فطاهرة ومن الطيبات التي أحلت لنا وإن كانت اتخذت منها العصارات والأشربة إلا إذا تغير إلى السكر فإنه يحرم بسبب السكر لا بنفسه .

**المسكرات والمخدرات :**

لا شك بأن حفظ عقل الإنسان من جملة مقاصد الشريعة الإسلامية وقد فضل الله الإنسان بالعقل وميزه به عن سائر الحيوانات وبسببه جعله خليفته في الأرض وبه كلف الإنسان ، فالعقل مصلحة عظمى وقيمة علياً وبه يستطيع الإنسان جلب مصالح الدنيا والآخرة ودفع مضرتهما ، وهو ملاك أمور الدين والدنيا كليهما ، فكما يجب على الإنسان حفظ العقل وحمايته وتنميته بالغذاء الصالح والفكر السليم ، يجب عليه حمايته عن كل ما يفسده ويضره ، وإن المسكرات والخمور لا يبقى بها العقل والشعور بل يعرى شاربه عن الإحساس والوعي ويصدر منه حركات وأفعال قبائح لا يمكن صدروها في حال الوعي والاعتدال كما ذكر أحد العلماء أنه مر على سكران وهو يبول في يده ويمسح به وجهه كهيئة المتوضئ ويقول :

---

(٥) الدر المختار مع رد المختار كتاب الأشربة : ٣٨/١٠ .

(٦) رد المختار: كتاب الأشربة : ٤١/١٠..

الحمد لله الذي جعل الإسلام نوراً والماء طهوراً. (٧) .

وأحياناً يعتدي ويظلم على الآخرين بل على أهل وده من أقاربه وذويه ، وقد جمع الله تعالى كل هذه المعاني في قوله ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ﴾ (سورة المائدة الآية/٩١) ومع فساد العقل يفسد الصحة والجسم ويقع به الإنسان في ورطة البهيمة أيضاً ، وقد قال الإمام فخر الدين الرازي رحمه الله في تفسيره : "إن عقل الإنسان أشرف صفاته ، والخمر عدو العقل وكل من كان عدواً لأشرف فهو أخس فيلزم أن يكون شرب الخمر من الأمور الخسيسة".(٨) .

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه : "الخمر مهلكة للمال ومذهبة للعقل (٩) ، وروي عن النبي ﷺ أنه قال : الخمر جماع الإثم" (١٠) .

فالخمر وما دخل في دائرته من المسكرات سواء كانت من عصارة الثمار والنباتات أو من العنب والنخل وسواء كانت قليلة أم كثيرة وسواء أسكرت شاربها أم لم تسكر وسواء سميت مسكراً أم باسم آخر فهي حرام ، فإنه روي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : كل مسكر خمر وكل مسكر حرام (١١) .

وهناك كثير من المشروبات يوجد فيها السكر وتختلف أسماؤها فبوجود السكر فيها هي حرام ويحرم شربها بقطع النظر عن تأثر الشارب وبقطع النظر عن مدى نسبته في الكمية ، فإنه روى أيضاً أن رسول الله ﷺ قال : ما أسكر كثيره فقليله حرام (١٢) .

وكذا المخدرات وهي التي يغطى بها العقل وهي التي تتخذ من

---

(٧) التفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازي : ٢/٣٢٠ .

(٨) التفسير الكبير ٢/٣٢٠ .

(٩) بحر العلوم للسمرقندي : ٢/١ .

(١٠) دلائل النبوة للبيهقي : رقم/١٩٩٤ .

(١١) سنن الترمذي رقم/١٨٦١ .

(١٢) سنن الترمذي رقم الحديث : ١٨٦٥ .

الأعشاب والنباتات كالأفيون والحشيش والهيروئين والمورفين والكوكاكين وأمثال ذلك كثير من المخدرات لا يمكن حصرها فإنها متوقفة على اكتشاف أهل الخبرة لها وهي كثيرة وعامة بين الناس وكذا كثير من المخدرات تصنع بالطريقة الكيميائية وهي قد تكون أقراصاً وقد تكون سائلاً وقد تؤخذ عن طريق الفم وقد تؤخذ عن طريق الحقن ، فجميع المخدرات والمسكرات حرمها الشرع ولم يحرمها لأجل حماية العقل فحسب بل لحماية العقل والجسم والأفراد والجماعات ، بل لحماية الأمة كلها ، لأن أضرارها لا تعود على شاربها في عقله وجسمه وماله وأسرته فقط ، بل تعود على الجماعة والأمة التي يتعامل معها ويعيش بينها وينتمي إليها .

**المعالجة والتداوي :**

إن المعالجة والتداوي ليست إلا لحفظ نفس البشرية وسلامتها وهي الضرورة المعتبرة من أهم مقاصد التشريع الإسلامي ، فإن الإنسان قد يغلب عليه ما يخالف ما اعتاده في حالة الصحة والسلامة فيغيره إلى عدم الاعتدال وسوء المزاج فيضطرب ويقع في الحرج فلإصلاح هذه الحال شرعت المعالجة والطب وكان علاج رسول الله صلى الله عليه وسلم للمرض ثلاثة أنواع .

أحدها : بالأدوية الطبيعية .

والثاني : بالأدوية الإلهية .

والثالث : بالمركب من الأمرين (١٣) .

والرسول ﷺ بعث هادياً لأمته فأشار بهذا إلى هذه الأدوية وأذن لنا بالتداوي ، فعن أسامة بن شريك : قال : أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه كأنما على رؤوسهم الطير ، فسلمت ثم قعدت فجاء الأعراب من ههنا وههنا فقالوا : يا رسول الله! أنتداوى ؟ فقال : تداووا ، فإن الله عزوجل لم يضع داءً إلا وضع له دواء ، غيرداء واحد الهرم (١٤) .

---

(١٣) تكملة فتح الملهم للشيخ محمد تقي العثماني حفظه الله نقلاً عن زاد المعاد لابن قيم رحمه الله : ٢٩٢/٤ .

(١٤) مسند الإمام أحمد رقم : ١٨٤٥٤ .

وعن النبي ﷺ أنه قال : "ما أنزل الله داءً إلا أنزل له شفاءً" (١٥) وعن جابر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لكل داء دواء فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله تعالى (١٦) .

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : ما أنزل الله من داء إلا أنزل له دواء ، علم ذلك من علمه ، وجهله من جهله إلا السام وهو الموت (١٧) .

فمجال التداوي والمعالجة مفتوح أمامنا ، وكما قال شيخ الإسلام عز الدين بن عبد السلام رحمه الله : "فإن الطب كالشرع ، وضع لجلب مصالح السلامة والعافية ، ولدرء مفاسد المعاطب والأسقام ، ولدرء ما أمكن درؤه من ذلك ، ولجلب ما أمكن جلبه من ذلك" (١٨) .

## الحالات التي يجب فيها التداوي :

وعلى الإنسان أن يحفظ صحته ويدافع عن كل ما يضرها ويفسدها فإذا اعترى له مرض أو سوء مزاج فله أن يتداوى ويعالج معتقداً بأن الله هو الشافي لا غير ، وأحياناً يجب عليه التداوي والمعالجة إذا دعت الضرورة إلى ذلك ، بأن علم أحد أن مرضه مفضٍ إلى الهلاك أو الزمانة ، والعملية الجراحية أو تناول الدواء يزيل المرض يقيناً أو بغلبة الظن قياساً على ما رأى بالتجربة فيجب عليه أن يختار المعالجة والدواء .

فالحالات التي تجب فيها على الإنسان التداوي وهي كما يلي :

(أ) الأمراض المعدية لأن الضرر سيتعد إلى الآخرين .

(ب) الأمراض المخوفة التي تؤدي إلى الهلكة ومثلها الحوادث الخطيرة .

(ت) إذا كان المرض غير معد وغير مخوف ولكنه يؤدي إلى الزمانة والإعاقة الدائمة إذا لم يتداو .

(ث) مرض لا يعدي الآخرين ولا يسبب زمانة وهو غير مخوف ولكنه

---

(١٥) صحيح البخاري رقم: ٥٦٧٨ .

(١٦) الصحيح لمسلم كتاب الطب رقم : ٥٨٧١.

(١٧) أخرجه الحاكم في المستدرك رقم : ٨٢٢٠ .

(١٨) قواعد الأحكام في مصالح الأنام: ٧/١ .

طول إذا لم يتداو ويشق على أهل تمريضه وتلبية حاجة ويؤدي إلى فقدان عمله أو خسارة كبيرة له ولأسرته .

وفي جميع هذه الحالات إذا كان التداوي ممكناً ومتوفراً ولا مخاطر فيه بل تيقن أو غلب على الظن فائدتها فيجب عليه التداوي (١٩) .

فيجب على الإنسان في هذه الحالات اختيار التداوي والمعالجة لأن عدم اختيار التداوي مرادف لإلقاء النفس في التهلكة ، وهذا حرام بنص أن الله سبحانه وتعالى قال : ﴿وَلاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ (سورة البقرة الآية/١٩٥) وكذا نهى رسول الله ﷺ عن إضرار الناس والمسلمين فقال : "لاضرر ولا ضرار" (٢٠) وكذا تدل عليه الأحاديث التي رغب فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم للمعالجة والتداوي ، فعن ابن عباس رضي الله عنه أن رجلاً قال : يا رسول الله! هل ينفع الدواء من القدر ؟ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "الدواء من القدر ، وهو (تعالى) ينفع من شاء بما شاء (٢١) .

وقد سأل عروة بن الزبير خالته عائشة رضي الله عنها عن علمها بالطب وتعجب من ذلك فقال : يا أمتاه! لا أعجب من (فقهك) فهمك أقول : زوجة رسول الله وابنة أبي بكر ، وكان من أعلم الناس ، ولكن أعجب من علمك بالطب كيف هو ؟ ومن أين هو ؟ قال : فضربت على منكبه ثم قالت : "أي عرية (تصغير عروة) أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسقم آخر عمره أو في آخر عمره ، فكانت تقدم عليه الوفود (وفي رواية وفود العرب) من كل وجه فتنعت له الأنعات ، وكنت أعالجها له فمن ثم "وفي رواية فكانت أطباء العرب والعجم يبعثون له فتعلمت ذلك" (٢٢) .

فأي دليل أكبر من عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهذا أيضاً لا ينافي التوكل لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "الدواء من القدر" فكونه من قدر الله لا ينافي التوكل مع اعتقاد أن الدواء والمعالجة لا تشفي

---

(١٩) المخلص من أحكام التداوي للدكتور محمد علي البار : ٢١ .

(٢٠) المستدرك للحاكم ٢٣٤٥ .

(٢١) كنز العمال رقم ٢٨٠٨٢ .

(٢٢) أخرجه أحمد في مسنده مجمع الزوائد للهيثمي : ١٥٣١٥ .

بل الله يشفي وبيده كل شيئ (٢٣) وليس هو إلا كتناولنا الطعام والشراب مع أن الله هو الذي يطعمنا ويسقينا ، ذكر القرآن الكريم بلسان سيدنا إبراهيم عليه السلام ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ❖ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ (سورة الشعراء الآيتان/٧٩ – ٨٠) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مرة : وأيكم مثلي إني أبيت يطعمني ربي ويسقين (٢٤) مع أنهم كانوا يتناولون الطعام والشراب أيضاً وقد فرض الله علينا كسب المعاش والسعي له ، فعن عبد الله قال رسول الله ﷺ : طلب كسب الحلال فريضة بعد الفريضة (٢٥) وروي أيضاً عن النبي ﷺ أنه قال مخاطباً لسعد بن وقاص رضي الله عنه : إنك أن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس ، وإنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت بها حتى ما تجعل في في امرأتك (٢٦) .

**التداوي بالمحرمات والأنجسة :**

فغاية الطب والتداوي هي حفظ الصحة والأبدان ، ولكن التداوي والمعالجة لا يمكن إلا بما شرعه الله عزوجل وبما أذن به الرسول صلى الله عليه وسلم ، فإن الشفاء لا يمكن إلا به ، وأما الحرام فلا شفاء فيه ، اللهم إلا في حالة الاضطرار وعدم البديل لها ، ﴿فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلاَ عَادٍ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ (سورة البقرة الآية/١٧٣) .

وعن وائل الحضرمي أن طارق بن سويد الجعفي (ما معناه) سأل رسول الله ﷺ عن الخمر ؟ فنهاه وكره أن يصنعها فقال : إنما أصنعها للدواء ، فقال : "إنه ليس بدواء ولكنه داء" (٢٧) .

وعن عبد الرحمن بن عثمان أن طبيباً سأل النبي - صلى الله عليه وسلم - عن ضفدع يجعلها في دواء فنهاه النبي – ﷺ – عن قتلها (٢٨) .

---

(٢٣) وللتفصيل يراجع الطب النبوي للإمام الذهبي وزاد المعاد ولابن القيم والمنهج السوي والمنهل الروي للسيوطي وكتب الأحاديث .

(٢٤) الصحيح للبخاري : رقم الحديث ١٩٦٥

(٢٥) السنن الكبرى للبيهقي : رقم الحديث ١٢٠٣٠ .

(٢٦) الصحيح للبخاري ، رقم الحديث : ١٢٩٥

(٢٧) أخرج في معناه الطحاوي في شرح معاني الآثار باب حكم ما يؤكل لحمه : ١٧٧/١ .

(٢٨) رواه أبوداؤد رقم ٣٨٧٣ .

قال صاحب عون المعبود : "قوله (في دواء) بأن يجعلها مركبة مع غيرها من الأدوية ، والمعنى يستعملها لأجل دواء وشفاء داء ، (عن قتلها) أي وجعلها في الدواء لأن التداوي بها يتوقف على القتل فإذا حرم القتل حرم التداوي بها أيضاً" (٢٩) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : "نهى رسول الله ﷺ عن الدواء الخبيث" (٣٠) .

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إن الله أنزل الداء والدواء وجعل لكل داء دواء فتداووا ولا تداووا بحرام" (٣١) .

وروي أن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما إذا دعا طبيباً يعالج بعض أهله ، اشترط عليه أن لا يداوي بشيئ مما حرم الله عزوجل" (٣٢) .

فهذه النصوص تدل على الحرمة بالتداوي بالمحرمات ولكن في صورة الاضطرار وعدم البديل لها يجوز التداوي بها قدر ما يسد به الحاجة وتدفع الضرورة لأن فيه بقاء نفس الإنسان لا بغيره ، فإن الله سبحانه وتعالى أجاز للمضطر فقال : ﴿فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم﴾ (سورة البقرة الآية/١٨٣) وقال : ﴿وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلاَّ مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ﴾ (سورة الأنعام الآية/١١٩) وكذا قال : ﴿وَلاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ (سورة البقرة الآية/١٩٥) وقال : ﴿وَلا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ (سورة النساء الآية/٢٩٠) فترك المعالجة والتداوي مع إمكان وجوده وغلبة الظن بشفائه إلقاء بيده إلى التهلكة والقتل ، فنظرا إلى ضرورة الإنسان أجاز الفقهاء بالتداوي بالمحرمات إذا غلب الظن على فائدتها ولم يوجد لها بديل ، وكذا الحكم للتداوي بالأشياء النجسة وسواء كانت مسكرة أم لا ، لأن مصالح صحة الإنسان وصيانة النفس الإنسانية داخلة

(٢٩) عون المعبود للعلامة أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي : ٢٩٨/٢ .

(٣٠) السنن لأبي داؤود رقم ٣٨٧٢ .

(٣١) سنن أبي داؤود رقم ٣٨٧٦ .

(٣٢) أخرجه الحاكم في المستدرك رقم ٧٥١٠ .

في الضرروة والاضطرار الذي أباح بسببها الشرع الحرام (٣٣) .

وهناك بعض العلاج بالأعضاء والأجزاء الإنسانية وبنقل الدم الإنساني من إنسان إلى آخر وترقيع الأعضاء الإنسانية حياً وميتاً ، كل ذلك أجازه العلماء عند الضرروة بشروط وهي كما لخص من عبارات الفقهاء والنصوص فضيلة الشيخ خالد سيف الله الرحماني في كتابه "فقه الحلال والحرام" فننقله هناك من كتابه يقول :

١- الطريقة الطبية المبتكرة لترقيع الأعضاء الإنسانية ، لا تحتوي على الإهانة البشرية .

٢- لأجل ذلك يجوز هذا الترقيق على أن يقصد به حفظ النفس الإنسانية أو إعادة المنافع البدنية الهامة ، كالبصارة .

٣- ويخبر الطبيب الماهر بأن الظن يغلب علي صحة المريض في استعماله .

٤- يجوز ترقيع أعضاء غير المسلمين في جسم المسلمين .

٥- أن يتم أخذ الأعضاء من الموتى فيجب أن يأذن الموتى في حياته ، لأنه هو الذي يملك بدنه ، كما يجب أن يرضي به ورثائه .

٦- وأن يؤخذ العضو من الحي فيجب أن يكون منه الإذن ولا يصيبه ضرر شديد .

٧- يجوز تموين الأعضاء ، ويجوز بيعها كما يجوز شراؤها عند الشوافع والحنابلة وعند الأحناف يسوغ شراؤها عند الاضطرار لا بيعها ، هذا هو الصواب وهذا ما يتناسق مع الكرامة البشرية ، والله أعلم بالصواب ، وعلمه أتم وأحكم (٣٤) .

فتبين من ذلك أن استعمال المحرمات للتداوي والمعالجة تباح عند الضرورة فالأدوية التي تختلط معها المحرمات والأنجسة أيضاً يباح عند الضرورة بشرط إن لم يوجد لها بديل .

**خاتمة :**

ويرى أن الدواء الحلال يوجد لكل داء لأن رسول الله ﷺ أرشد إلى

---

(٣٣) انظر للتفصيل كتب الفقه من الهندية ، والبزازية ، والدر المختار وغيرها من الكتب .

(٣٤) فقه الحلال والحرام : ١٦٤ .

ذلك بقوله : إن الله لم ينزل داء أو لم يخلق داء إلا أنزل أو خلق له دواء ، علمه من علمه وجهله من جهله إلا السام قالوا : يا رسول الله وما السام ؟ قال : الموت (٣٥) .

هذا القول يهيج الأطباء المسلمين ويحثهم على اكتشافات جديدة وإلى تحقيق الدواء للداء التي تتجدد يوماً فيوماً ، وقد ثبت بالتجربة أن هناك كثيراً من الأمراض التي لم يوجد لها علاج في الماضي ، ولكن الآن سهل لها العلاج وصار من الميسور ، فيا ليت أن المهتمين بأمور الصحة والأطباء الخبراء المسلمين والحكومات المسلمة يركزون كل اهتمامهم على هذا الجانب .

ولكن مع الأسف الشديد أن صناعة الأدوية والأغذية قد سيطر عليه اليهود والنصارى ، وهم الذين لا يجتنبون من المحرمات والخبائث ولا يميزون بين الحلال والحرام ، وهذه الأدوية والأغذية تنتقل إلى العالم كله وإلى بلاد المسلمين أنفسهم ، وكثير من الأطباء المسلمين مع علمهم بالحرام يصفون هذه الأدوية ولا يبالون ، بل يستعملون المحرمات في مصانعهم التي تصنع فيها الأدوية في بلادهم ، فيا للأسف !

فالغاية المقصودة من أحكام الأغذية والأدوية هي حفظ صحة الأبدان ، وفيها صحة العقل والروح ، واستعدادها لأداء المسئوليات التي تجب على الإنسان من العبادات والمعاملات حسب ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم .

فتعاليم الإسلام وأحكامه هي التي تستطيع اليوم أن تنقذ البشرية من مهالك الأغذية والأدوية بل جميع المهالك ، فيا ليتها لو اتبع الناس تعاليم هذا الدين الحنيف بدقة لسعدوا في الدنيا والآخرة .

ونسأل الله أن يوفقنا لما يحبه ويرضاه ، وصلى الله على النبي الكريم وآله وصحبه وسلم ، والحمد لله رب العالمين.

---

(٣٥) أخرجه الحاكم في المستدرك رقم ٨٢٢٠ .

❖❖❖

# بين اللغة والأدب والمعجمية

بقلم : د.قمر شعبان الندوي
q.shaban82@gmail.com

المعاجم هي المجموعة اللغوية ، التي لها الفضل العظيم في الاحتفاظ بما تنطق الأمم فيما بينها من ألفاظ ، وكلمات ، وجمل ، وبما تعبر عن حاجاتها ، وضروراتها ، في غدواتها ، وروحاتها .

وكل لغة من لغات العالم ، وكل أمة من أمم الكون مفتقرة إلى هذه الدواوين ، والدفاتر ، والسجلات اللغوية ، لحفظ كلامها من الضياع ، ولصيانتها من الخمول والنسيان ، ولا توجد في الكون أمة ذات حضارة ، وثقافة اتخذت هذه الذخائر اللغوية هجراً مهجوراً .

وأما الأمة العربية ، وصلتها بآدابها ، وافتخارها بلغتها فليس بشئ يستغرب ، فما لبثت أن زعمت أنها أمة أدب ، وشعر ، وأمة لغة ، فيها الحيوية ، وفيها صلاحية التعبير عن كل سلوك ، وحاجة ، وعمل ، وهي قابلة للتعبير عن أحاسيس الحزن ، ومشاعر الفرح ، والغبطة ، والسرور ، والانطباعات عن مواقف النجاح ، والرثاء عند الأموات ، والقلق عند الفشل .

وقد زعم الزاعمون أن العربية ليست لها طفولة ، ولا شيخوخة ، إنما هي ولدت شابة ناضجة مكتملة ، ذات قوة فاعلة ، فيها العاطفة ، والمنطقية ، وفيها جمال يلتذ من نطقه اللسان ، وتستعذب من سماعه الآذان ، وأنها من أغنى لغات البشر ثروة لفظية ، تستوعب ، وتستقصي ، وتستكمل حاجات الأمة الحسية والمعنوية ، ولديها ألفاظ دقيقة المفاهيم للتعبير عن كل صفة من صفات المخلوق ، حتى للحيوانات من الأسد ، والخيل ، مئات الأسماء ، فقد كتب الوافي أن للأسد خمس مائة اسم ، وللثعبان مائتي اسم ، وللعسل أكثر من ثمانين

اسماً ، وللسيف ألف اسم (١) ، ولشعر الإنسان عشرات ، وللكواكب وللأسلحة الحربية كذلك ، مما يدل على صفاتها وهيئاتها المختلفة .

واللغة العربية سبقت اللغات في مغازلة الحسان ، والخرائد ، إذ أنشد الملك الضليل امرؤ القيس :

تسلت عمايات الرجـال عن الصبا و ليس فؤادي عن هـــواك بمنسل
أفـــاطم مهلاً بعض هـذا التدلل وإن كنت قد أزمعت صرمي فأجمل

وفي وصف الحصان ، والركائب ، فينشد الشاعر نفسه وصفاً بالفرس :

مكر مفـــر مقبـل مدبـــر مـــعاً
كجلمود صخر حطه السيل من عل

حتى لم يترك الليل إلا وقد وصفه ، وحلكته ، فما أبدع هذا الوصف !

وليل كموج البحر أرخى سدوله علـــى بأنواع الهموم ليبتلـــي

وفي الحماسة في ساحات الوغي ، وفي الافتخار بالقبائل ، والآباء ، إذ غنّى بمجد قومه الشاعر الجاهلي عمرو بن كلثوم التغلبي :

أبا هند فلا تعجـــل علينا وأنظرنا نخبـــرك اليقينا
بأنا نـــورد الرايات بيضا ونصدر هن حمراً قد روينا

حتى افتخر التغلبي بالطفل الرضيع من قبيلته :

إذا بلغ الفطام لنا صبيّ تخر له الجبابر ساجدينا

ثم انظر مدى بلوغ افتخار ابن كلثوم بقومه ، وسطوته ، ونخوته ، وجبروته :

لنا الدنيا ومن أضحى عليها و نبطش حين نبطش قادرينا

وقال زهير في الحكمة :

ومن لم يصانع في أمور كثيرة يضرس بأنياب و يوطأ بمنسم

---

(١) عبد الواحد الوافي ، فقه اللغة ، مصر، ط/٧ سنة الطباعة غير مذكورة : ص/١٦٣ .

ثم ظهرت في هذه الآونة صنوف من الأدب ، من : الخطبة ، والوصية ، والكهانة ، والحكاية التي يمكن أن تسمى : أدب المسامرة.

وأما الشعر فقد قيل في أغراض من : الوصف ، والفخر ، والهجو ، والحماسة ، والمدح ، والغزل ، والتشبيب ، والرثاء ، فلكلّ لغة تعابير ، وأسلوب ، ومستويات .

وبعدما بعث النبي الكريم ﷺ شاهدت الجزيرة العربية ، بل العالم العربي ، والعالم كله لوناً جديداً للأدب ، منصبغاً بصبغة ربانية ، وإسلامية ، رفض ألفاظ الخلاعة ، والمجاعة ، ورحّب بألفاظ الحب ، والمودة ، والمساواة ، والمواخاة ، والعقيدة الصافية ، والعبادة ، والطهارة ، والتزكية ، والتربية الخلقية ، والاستسلام لله الواحد الأوحد الفرد الصمد ، بدل الاستسلام للطواغيت ، واتباع الخرافات الجاهلية ، فقد ولّد هذا الأدب ألفاظاً من نوع جديد ، لم يعرفها العرب فيما قبل عبر التاريخ ، وقد تمحور هذا الأدب حول القرآن الكريم ، والحديث النبوي الشريف ، والخطب الإسلامية الدينية الخلقية ، وأما أغراض الشعر فظلت باقية كما هي ، ولكن قد تغيرت النيات ، وتغيرت المضامين ، فالفخر أصبح بالدين ، والعقيدة ، والمدح أصبح لمديح الرسول العربي المبعوث – عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم – ، والحماسة تبدلت بحماسة دينية إسلامية ، والهجو أصبح الهجو ضد من يحارب الإسلام ، ورسوله ﷺ ، فلمع هناك نخبة من الشعراء الإسلاميين ، من أمثال : حسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، وعبد الله ابن رواحة ، وكعب بن زهير ، إضافة إلى غيرهم من الصحابة البررة الذين خاضوا في معركة الشعر ، لقد أثرى هذا العصر الإسلامي المكتبة العربية بالنصيب الأكبر ، والأذخر للمفردات ، والمصطلحات .

القرآن مع تفاسيره المتعددة الجوانب ، والحديث مع الصحاح السنة إلى الصحاح التسعة ، والشعر الإسلامي مع كل الأغراض التي قيل فيها ، ثم الخطابة مع كل المستويات ، كل في حد ذاته بحر

للكلمات ، ومحيط للألفاظ ، والتعابير ، والأمثال ، زد على ذلك ما تركه كل من اعتنق الإسلام من أعراب البوادي ، والأرياف ، والقبائل ، وأما الذين دخلوا الإسلام من غير العرب ، فإنهم أيضاً جاؤوا بتعابير ، وألفاظ لغاتهم ، وخلطوها بالعربية ، مما أدى إلى توفير الكلمات الدخيلة ، والمولدة ، والمعربة .

ولم ينقطع مسير هذا الركب اللغوي هنا ، بل ما انفكت متواصلة ، حتى شاهدت الأرض شعراء النقيض ، والشعر الإباحي الخليع ، والغزل العذري العفيف ، وشعر الجنون ، من أمثال : العاشق الهائم قيس بن الملوح ، المعروف بمجنون ليلى ، والفرزدق ، وجرير ، والأخطل ، وجميل بن معمر المعروف بجميل بثينة ، وعمر بن أبي ربيعة ، الذي فتح العين بعد وفاة عمر الفاروق رضي الله عنه ، فقد قال فيه من قال وأحسنه : "أي خير رفع ، وأي شر وضع" .

ثم ظهر شعراء البلاط ، والاكتساب ، والتوسل ، الذين أثروا المكتبة العربية بأنواع منوعة للكلمات ، والتعابير بشعرهم ، لهم مديح ، ولهم غزل ، ولهم هجو ، ولهم حماسة ، ولهم افتخار ، ولهم ، ولهم ، ولهم ... ، ومن عمالقة هذا العصر الذين اكتظت بمآثرهم الفظفاظة المكتبات من جديد ، أجدرهم بالذكر : المتنبي ، وأبو تمام الطائي ، وأبو نواس ، وأبو فراس الحمداني ، وأبو العتاهية ، وأبو العلاء المعري ، والبحتري ، وبشار بن برد ، والبوصيري ، وابن هانئ الأندلسي ، وابن زيدون ، وغيرهم الكُثُر الذين خاضوا في هذا المضمار .

ثم ظهرت أنواع من الرسائل ، والكتابة ، والخطابة ، فقد خطب الحجاج ، وزياد بن أبيه ، وكتب عبد الحميد الكاتب ، وابن العميد ، ثم ترجم عبد الله بن المقفع ، وألف الجاحظ ، ودوّن القاضي الفاضل ، ثم برز أصحاب المقامات ، والحوليات ، علاوة على البلاغيين ، والنقاد ، ولكل منهم أساليب ، واتجاهات ، و وجهات نظر ، مع بعض الخلافات فيها حيناً ، والموافقات عليها لحين آخر .

وأما العصر التركي الذي عرف بعصر الانحطاط الأدبي فقد زاد على العربية أدباً من ضرب آخر ، التكلف سمته ، والعبارات المقفاة المسجعة، ظاهرته ، وعنصره، وظل هذا الأدب يثري العربية بكلمات ، وبعبارات ، وبمفردات ، من نوع الموحشة المثقلة العسيرة ، حتى نهض أصحاب النهضة الحديثة مع نظريات ، واتجاهات ، ونزعات فكرية حديثة ، وبعطاءات أدبية ، ولغوية من صنوف جديدة ، من : الرواية ، والقصة ، والقصة القصيرة ، والمقالة ، والشعر ، والشعر الحر ، متناولاً القضايا السياسية ، والاجتماعية ، والخلقية ، والعقائدية ، والدينية ، وزودوا العربية بكمية هائلة من الألفاظ ، والتعابير الحديثة ، لقد ظهر في هذه الآونة الأدبية اللغوية كل من : الطهطاوي ، والبارودي ، والمازني ، والمنفلوطي ، وجبران ، وخليل مطران ، ومي زيادة ، وأحمد فارس الشدياق ، ومصطفى صادق الرافعي ، وأحمد أمين ، وطه حسين ، ومحمد كرد علي ، ومحمد حسين هيكل ، وميخائيل نعيمة ، وعباس محمود العقاد ، ومصطفى كامل ، وأمين الريحاني ، وحافظ إبراهيم بك ، وأحمد شوقي ، وناصيف البازجي ، وسليم البستاني ، وجرجي زيدان ، ومحمد المويلحي ، ومحمد تيمور ، ويحيى حقي ، وأمين يوسف غراب ، ويوسف الشاروني ، ومحمد صبحي أبو غنيمة ، ونجيب محفوظ ، وتوفيق الحكيم ، ويوسف السباعي ، وإحسان عبد القدوس ، وعبد الرحمن الشرقاوي ، وشكيب الجابري ، وحنا مينة ، وغسان كنفاني ، والأرناؤط ، وعلي الطنطاوي ، وأبو الحسن الندوي ، وعبد الحميد جودة السحار ، والسيد قطب ، ومحمد عبده ، وعبد الرحمن رأفت الباشا ، وسعيد رمضان البوطي ، ومحمد الغزالي ، وشوقي ضيف ، والطيب صالح ومن إليهم .

ثم ارتبطت البلدان بعضها ببعض في صلات سياسية ، وتجارية ، ودبلوماسية ، ودفاعية ، وحربية ، مما تولدت في العربية ، مصطلحات ، وألفاظ ، وتعابير جديدة مخلوطة من الإنجليزية ، والفرنسية ، والألمانية ،

والهندية ، في الحقول التجارية ، والسياسية ، والدبلوماسية ، والاجتماعية والتعليمية ، والمعرفية .

وعصارة القول : إن اللغة العربية متشعبة ، ومتراكمة ، ومتكاثفة ، ومتغزرة في مادتها ، وفي بلاغتها ، وفي شعرها ، وفي خطابتها ، وفي كتابتها ، وفي قصتها ، وفي روايتها ، وفي مقالتها ، وفي رسالتها ، فما أذخر العربية ! وما أغناها ! وما أوسعها ! وما أدقها ! وما أعمقها ! وما أقدمها ! وما أفصحها لغةً ، وكلمات ، ومفردات ! .

إن المعاجم نتاج مختلف الصنوف الأدبية ، وثمرة متنوعة المسائل الحضارية ، وحصاد ألوان من القضايا الثقافية ، والاجتماعية ، والسياسية ، والعلمية ، والمعرفية ، فما أحوج العربية إلى المعاجم اللغوية مع هذه الغزارة الأدبية واللغوية في شتى حقولها !

فما لبثت أن أنجبت هذه اللغة جيلاً نجيباً رشيداً ، أخذ على كاهله وضع مخطط مترامي الجوانب ، محكم القواعد ، والبنيان للاحتفاظ بمفردات هذه المادة الغزيرة اللغوية الأدبية ، ولتأصيل جذورها ، ولإحياء تراثها المجيد بحياة نشيطة ، وبقوة فاعلة ، ولنقلها إلى أبناء بجدتها مدى الدهور والقرون جيلاً تلو جيل ، وأمة تلو أمة ، ولم يأل جهداً من اشتغلوا بهذه العملية الجليلة قط ، حتى لم يأت عليهم حين من الدهر الذي تسرب فيه إليهم الوهن ، أو تسلل إليهم الضعف في إنجاز مخططهم الدقيق المجهد المتعب ، وفي تحقيق غرضهم المنشود العملاق .

لقد خرجت مدى القرون منذ مطلع فجر الإسلام أنواع من المعاجم ، من غريب القرآن ، وغريب الحديث ، وشرح المصطلحات الفقهية التشريعية ، ومعاجم المعاني ، ومعاجم المباني ، ومعاجم الألفاظ ، ثم تنوعت هذه المعاجم ، وتشعبت ، وتفرعت ، وتراكمت ، من لدن أول من خاض في التأليف المعجمي إلى يومنا الحاضر ، حتى تأسس هناك العديد من المدارس المعجمية العربية على أسس تأليفية ، وتكوينية ، وتصنيفية مختلفة .

وأول ما يرجع إليه فضل التأليف المعجمي العربي ، هو غريب القرآن على يد حبر الأمة ، وترجمان القرآن ، الصحابي الجليل سيدنا عبد الله عباس رضي الله عنهما ويكون أول كتاب في ذلك مما أجابه ابن عباس عما سأله نافع بن الأزرق عن بعض الألفاظ الغريبة الواردة في القرآن ، وهو كتاب : مسائل نافع بن الأزرق في غريب القرآن ، منسوب إلى ابن عباس ، ثم توالى التأليف فيه ولا يزال حتى عصرنا الحاضر ، وقد ظهرت على حيز الوجود مئات المعاجم اللغوية في غريب القرآن ، ومفرداته ، انطلاقاً من القرن الأول الهجري ومروراً بالعصر العباسي ، والعصر العثماني ، حتى العصر الحديث ، ومن أوائل من خاض فيه : أبو سعيد أبان بن تغلب الجريري (ت.١٤١هـ) ، ومالك بن أنس (ت.١٧٩هـ) ، وأبو الحسن النضر بن شميل (ت.٢٠٤هـ) ، وأبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي (ت.٢١٠هـ) ، وأبو محمد يحيى بن المبارك بن المغيرة (ت.٢٠٢هـ) ، ومحمد بن سلام الجمحي (ت:٢٣١هـ) ، ومحمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت.٢٧٦هـ) ، والمفضل بن سلمة بن عاصم الكوفي (ت.٢٩٠هـ) ، وأبو الحسن علي بن سليمان بن المفضل الملقب بالأخفش الصغير (ت.٣١٥هـ) ، وأبو بكر محمد بن الحسن بن دريد (ت.٣٢١هـ) ، وأبو بكر محمد السجستاني (ت.٣٣٠هـ) ، وأبو علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي (ت.٤٢١هـ) ، وأبو القاسم الحسين ابن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (ت.٥٠٢هـ) (٢) .

ثم ظهرت مجموعة لغوية أخرى متمحورة حول القرآن الكريم ، وهي مجموعة كتب الوجوه والنظائر ، ومن أوائل المؤلفات في هذا النوع : "الوجوه والنظائر" لأبي الحسن مقاتل بن سليمان الأزدي الخراساني (ت.١٥٠هـ) ، وأبو الفضل عباس بن الفضل الأنصاري الواقفي (ت.١٨٦هـ) ، و "تحصيل نظائر القرآن" لأبي عبد الله محمد بن علي

(٢) انظر: أحمد الشرقاوي إقبال ، معجم المعاجم ، بيروت لبنان ، ط/٢ ، ١٩٩٣م : ص/٤.

المعروف بالحكيم الترمذي (ت.٣٢٠هـ) ، و "كتاب الأفراد" لابن فارس الرازي (ت.٣٩٥هـ) (٣) .

وأثناء ذلك أخرج اللغويون كتباً لغويةً في شرح "غريب الحديث" ومن أشهر من أسهموا في التأليف اللغوي عن ذلك : أبو عدنان عبد الرحمن بن عبد الأعلى من القرن الثاني الهجري ، وأبو الحسن النضر ابن شميل المازني ، وله غريب القرآن أيضاً ، وأبو علي محمد بن المستنير المعروف بقطرب (ت.٢٠٦هـ) ، والفرا ومعمر بن المثنى التيمي ، ومحمد ابن زياد المعروف بابن الأعرابي (ت.٢٣١هـ) (٤) .

هذه طليعة التأليف اللغوي العجمي ،والحجر الأساسي للصناعة المعجمية ، والنواة الأولى للشرح اللغوي ، يرجع الفضل كله إلى القرآن الكريم أولاً ، ثم إلى الحديث النبوي الشريف ثانياً ، وكان من عادة المستفسرين لمعاني القرآن الكريم عند عبد الله بن عباس أن يستشهد بالشعر العربي القديم ، من شعراء القبائل المختلفة ، وقد تحدث عبد الواحد الوافي في كتابه فقه اللغة عن هذه القبائل بالتفصيل ، فذكر ما هي القبائل التي لغتها قابلة للاستدلال ؟ وما هي القبائل التي لا يقبل الاستدلال بلغتها أو بلهجتها ؟ وما هو السبب (٥) .

وتلته المعاجم اللغوية من نوع معاجم المعرّب ، ومعاجم التصويب اللغوي ، ومعاجم الموضوعات التي تنقسم إلى كتب ، من : كتاب الوحوش ، وكتاب الحشرات ، وكتاب الخيل ، وكتاب اللهجات ، ومعاجم النوادر ، ومعاجم الصفات ، ومعاجم الأبنية ، ومعاجم النبات ، ومعاجم الأنواء والفلك ، ومعاجم الأمكنة ، ومعاجم الأدوات الحربية ، ومن أهم هذه المعاجم التي ظهرت على حيز الوجود : "كتاب العالم في

---

(٣) نفس المصدر : ص/١٩ .

(٤) المصدر نفسه : ص/٢٢- ٢٥ .

(٥) عبد الواحد الوافي : فقه اللغة ، مصر ، ط/٦ : ص/١٦٥ .

اللغة" لأبي القاسم أحمد بن أبان الإشبيلي ، و "فقه اللغة وسر العربية" لأبي منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي ، و "المخصص" لابن سيدة المرسي ، و "كفاية المتحفظ ونهاية المتلفظ" لأبي إسحاق إبراهيم الطرابلسي المعروف بابن الأجدابي من أواخر القرن السادس الهجري ، و"الغريب المصنف" لابن سلام الهروي ، و "الألفاظ الكتابية" لعبد الرحمن الهمذاني (ت.٣٢٠هـ) ، و "مُتخيّر الألفاظ" لابن فارس (ت.٣٩٥هـ) (٦) .

وقد ظهر منذ منتصف القرن الثاني الهجري نوع جديد للمعاجم اللغوية وهي معاجم الألفاظ والحروف ، تألفت على أساس حروف المعجم/حروف الهجاء على الترتيب الصوتي ، والترتيب الألفبائي ، وقد تأسست على الأنماط التصنيفية المختلفة لهذه المعاجم فكرة المدارس المعجمية عند المحققين اللغويين المعاصرين ، من أمثال : أحمد عبد الغفور عطار ، وحسين نصار ، والوافي والآخرين ، وأما المدارس التي تأسست على المنهجية التأليفية المختلفة فهي : "مدرسة الترتيب الصوتي" على كتاب : "العين" للخليل ، و "مدرسة الترتيب التقليبي الألفبائي" على : "جمهرة اللغة" لأبي بكر بن دريد (٢٢٣-٣٢١هـ) ، و "مدرسة التقفية" على : "تاج اللغة وصحاح العربية" لاسماعيل بن حماد الجوهري (٣٣٢-٤٠٠هـ) ، و "مدرسة الترتيب الألفبائي الجذري" على : "أساس البلاغة" لمحمود بن عمر الزمخشري (٤٦٧-٥٣٨هـ) ، و "مدرسة الترتيب الألفبائي المنطوق" كالمعاجم الإنجليزية الحديثة .

ثم ظهرت معاجم تابعة لكل هذه المدارس المعجمية تبعاً كاملاً ، أم تبعاً مع بعض الاختلاف ، فقد ألف أبو عليّ القالي (٢٨٠-٣٥٦هـ) معجمه "البارع" ، وأبو منصور الأزهري (٢٨٢-٣٧٠هـ) "تهذيب اللغة" ، والصاحب بن عبّاد (٣٢٤-٣٨٥هـ) كتابه : "المحيط" ، وابن سيدة

(٦) معجم المعاجم للشرقاوي : ص/١٤٢- ١٤٥ .

(٣٩٨-٤٥٨هـ) كتابه : "المحكم والمحيط الأعظم" ، وأبو بكر الزبيدي (٣٧٩هـ) كتابه : مختصر العين" على منهج وأساس كتاب "العين" للخليل بن أحمد الفراهيدي ، وظهر معجم "مقاييس اللغة" لأحمد ابن فارس (٣٩٥هـ) ، و "مجمل اللغة" لابن فارس نفسه ، على أساس مدرسة الجمهرة لابن دريد .

وأما المعاجم التي ألفت على أساس مدرسة التقفية للجوهري ، فهي : "العباب الزاخر واللباب الفاخر" للصغاني (٥٧٧-٦٥٠هـ) ، و "لسان العرب" لابن منظور (٦٣٠-٧١١هـ) ، و "القاموس المحيط" للفيروزابادي (٧٢٩-٨١٦/٨١٧هـ) ، و "تاج العروس من جواهر القاموس" لمحمد مرتضى الحسيني الزبيدي (١١٤٥-١٢٠٥هـ) ، و "معيار اللغة" .(في مجلدين كبيرين) لميرزا محمد علي محمد صادق الشيرازي (من القرن الثالث عشر الهجري) .

وصدر "مختار الصحاح" لمحمد بن أبي بكر الرازي (٦٦٦هـ) ، و "المصباح المنير" لأحمد بن محمد المقرئ الفيومي (٧٧٠هـ) ، و "محيط المحيط" لبطرس البستاني (١٨٨٣هـ) ، و "المنجد" للأب لويس معلوف (١٩٠٨م) ، و "متن اللغة" لأحمد رضا العاملي (١٩٥٣م) ، و "المعجم الوسيط" ، و "المعجم الكبير" (٤/أجزاء) لمجمع اللغة العربية القاهرة ، و "المعجم اللغوي التاريخي" للمستشرق الألماني فيشر، على نمط مدرسة الترتيب الألفبائي الجذري لأساس البلاغة للزمخشري .

كما وقد ألف بعض اللغويين الهنود معاجمهم الثنائية اللغة على هذا النمط ، من أمثال : عبد الحفيظ البلياوي ، ألف "مصباح اللغات" (العربي - الأردي) ، و وحيد الزمان الكيرانوي ، ألف "القاموس الوحيد" (في مجلدين ضخمين) ، وقد اتبع هانس قير في تأليف معجمه الثنائي (العربي - الإنجليزي) هذه المدرسة المعجمية ، وأما القاموس (العربي - الإنجليزي) المفصل الضخم "مد القاموس" (Arabic-English Lexicon) (في ٨/مجلدات) لأيدورد وليم لين (E.W.Lane) فهو أيضاً خرج على الترتيب

الألفبائي الجذري .

وهناك قائمة طويلة للمعاجم العربية الموحدة ، والمزدوجة ، والمثلثة التي ألفت على الترتيب الألفبائي المنطوق ، ومن أهم ما ألف عليه : "معجمي الحي" لسهيل حسيب سماحة ، و "التوقيف على مهمات التعاريف" لمحمد عبد الرؤوف المناوي ، و "القاموس الجديد" للجنة من اللغويين في تونس ، و "الرائد" لجبران مسعود ، و "المنجد الإعدادي" ، و "نجعة الرائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد" لإبراهيم اليازجي .

ومن المعاجم (العربية ـ الإنجليزية ـ الفرنسية) التي نالت القبول ، والرواج فيما بين الأوساط العلمية اللغوية الأدبية في العصر الحاضر ، من أهمها : "المورد" لمنير البعلبكي ، و "قاموس إنجليزي عربي" لوليم طومسن ورتياب ، و "قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية" (إنجليزي ـ عربي ـ فرنسي) لإميل يعقوب ، وبسام بركة ، ومي شيخاني ، و "معجم وسيط علمي لغوي فني" (عربي ـ إنجليزي ـ فرنسي) لعبد الله العلايلي ، و "القاموس السياسي ومصطلحات المؤتمرات الدولية" (إنجليزي ـ فرنسي ـ عربي) لمجموعة من المؤلفين من : س.م.لحام (لغة عربية) ، وفرح (فرنسية) ، و م.أ.ساسين (إنجليزية) ، وهناك بعض القواميس القرآنية الثنائية اللغة ، مثلاً : "قاموس ألفاظ القرآن الكريم" (عربي ـ إنجليزي) لعبد الله عباس الندوي ، و "سلك البيان في مناقب القرآن" (عربي ـ إنجليزي) لجون بينرك ب.أ.(John Penric B.A.) .

وما فتئت مسيرة التأليف المعجمي على قدم وساق في كل الفروع والحقول منذ القرن المنصرم ، حتى ظهرت هناك معاجم متخصصة معاصرة ، من أمثال : "المعجم القانوني" لسليمان حارث الفاروقي ، و "معجم الدبلوماسية والشئون الدولية" لسموحي ، و "قاموس مصطلحات العلاقات والمؤتمرات الدولية" لحسن عبد الله ، و "معجم المصطلحات المالية والمصرفية" للسيوطي ، و "معجم المصطلحات العلمية والفنية والهندسية" لأحمد شفيق الخطيب ، و "المعجم الطبي الموحد"

الصادر في اتحاد الأطباء الرباط ، و "المعجم العسكري الموحد" الصادر عن جامعة الدول العربية .

وقد أسست الحكومات العربية والإسلامية أو عاونت في تأسيس مجامع لغوية عنيت بتوظيف وتشغيل الباحثين والمحققين والنقاد اللغويين على إجراء بحوث وتحقيقات حول التراث العربي الإسلامي المجيد ، وإخراج أعمالهم المحققة في ثوب قشيب لإحياء التراث ، ولتعميم نفعه على المستويات العلمية والأدبية طوال العالم ، ومن أهم هذه المجامع اللغوية التي نشطت واستمرت في عملها الدؤوب ، وأسهمت في التأليف المعجمي إسهاماً محموداً ومشكوراً ، أجدرها بالذكر : "مجمع اللغة العربية" بالقاهرة (أنشئ عام ١٨٩٢م) ، و "المجمع العلمي العربي السوري للغة العربية" (تأسس في ١٩١٩م) ، و "المجمع العلمي العراقي" (ظهر في أواخر ١٩٤٧م) و "مجمع اللغة العربية الأردنية" و "اللجنة الأردنية للتعريب والترجمة والنشر" من عام ١٩٦١م ، و "اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية" القاهرة (تأسس في شهر أبريل ١٩٧١م) ، و "الاتحاد العلمي العربي" (١٩٥٣م) ، و "مكتب تنسيق التعريب" بالرباط (من عام ١٩٦١م) ، و "مجمع اللغة العربية" بدمشق ، و "وزارة الإرشاد والأنباء" بدولة الكويت ، التي أنفقت ، وأشرفت على تحقيق "تاج العروس" وإخراجه ، خير إشراف .

ومن أضخم المعاجم العربية التي صدرت على يد عالم هندي مغترب في القرن الثامن عشر الميلادي ليس هو إلا : "تاج العروس من جواهر القاموس" لصاحبه محمد مرتضى الحسيني البلغرامي الشهير بالزبيدي ، لقد تميز هذا المعجم فيما بين المعاجم العربية .

إن المعاجم العربية التي سبق ذكرها هي : مما يتضمن القرآن ، والحديث ، والنوادر ، والأمثال ، والصفات ، والنبات ، والحيوان ، والفلك ، والأجناس ، والأدوات ، والمعارف العامة ، والعلوم المتخصصة ، فإن التاج وحيداً يتميز بتضمن كل هذه الحقول السابقة الذكر ، إذ

استقى في مادته المشروحة من كل معاجم هذه الأنواع ، ثم نظّمها تنظيماً على نمط معجم الألفاظ متبعاً خطة الجوهري في صحاحه ، وشارحاً "القاموس المحيط" للفيروزآبادي ، شرحاً مفصلاً حراً مبرهناً ، ومستدلاً بكل من : القرآن ، والحديث ، والشعر ، والخطابة ، والأمثال ، والأقوال ، والمعاجم ، والكتب اللغوية والمعرفية القديمة ، حتى خرج كأكبر موسوعة لغوية في اللغة العربية ، متناولاً شرح مائة ألف وعشرين ألف كلمة (١٢٠ر٠٠٠/كلمة) مشتملاً على أربعين مجلداً ضخماً محققاً على يد كبار المحققين اللغويين من أمثال : عبد الستار أحمد فراج ، والدكتور حسين نصار ، الدكتور خالد عبد الكريم جمعة ، الدكتور ضاحي عبد الباقي ، الدكتور عبد الحميد طلب ، الدكتور عبد الصبور شاهين ، الدكتور عبد العزيز علي سفر ، الدكتور عبد العزيز مطر ، الدكتور عبد الفتاح الحلو ، الدكتور عبد اللطيف محمد الخطيب ، الدكتور محمد حماسة عبد اللطيف ، الدكتور محمد سلامة رحمة ، الدكتور محمود محمد الطناحي ، عبد الستار أحمد فراج ، عبد السلام محمد هارون ، عبد العليم الطحاوي ، عبد الكريم العزباوي ، عبد المجيد قطامش ، وغيرهم الذين بلغ عددهم ٢٢/محققاً ، وقد صدر هذه الطباعة المحققة من وزارة الإرشاد والأنباء بدولة الكويت خلال الفترة ما بين : (١٩٦٥-٢٠٠٢م) .

لقد قدم كاتب هذه السطور أطروحة جامعية حول الزبيدي ومعجميته إلى جامعة جواهرلال نهرو ، نيودلهي بالهند ، ونال عليها شهادة الدكتوراة ، وينوي أن يصدر أطروحته في صورة كتاب في القريب العاجل - إن شاء الله العزيز - ، وهذا البحث الذي بين أيديكم من مقدمته على هذه الأطروحة .

والله ولي التوفيق ...

❖❖❖

# الرحلة تاريخها وأدبها عبر العصور

(١)

بقلم : الأخ عطاء الرحمن الأعظمي الندوي

الباحث بقسم اللغة العربية وآدابها ، الجامعة الملية الإسلامية ، نيو دلهي (الهند)

الرحلة معناها السفر والسياحة في الأرض، والرحل ما يستصحبه المسافر من الأوعية، جمعه رحال. فالعامل الأهم في الرحلة هو وصف الأقاليم والعناية بها والتي اعتبرت جزءا من أخبار الفتوح والمغازي، وقد حث الإسلام على الرحلة لطلب العلم والمعرفة والتفقه في الدين، وقد جعل السفر تراثا يتصل بالتاريخ الإسلامي لدى جميع الشعوب الإسلامية، فقد انتشر الإسلام في ربوع الأرض طبقا لأمر القرآن (سيروا في الأرض) وبدأ المسلمون السفر هنا وهناك، وازدهرت الرحلات في العصور التي تلت بعد الفتوحات الإسلامية ونشطت باتساع رقعة العالم الإسلامي- وما حوله- مع ازدهار الفكر وتنوع وسائل المعرفة- وقد كانت أنحاء الدولة الإسلامية متسعة الأرجاء وإنها تتطلب الدراسة والوصف، تمهيدا لتطبيق أحكام الشريعة وتسهيلا لمهمة الولاة.

وهذه هي الأسباب والعوامل التي أشار إليها المسعودي في كتابه "مروج الذهب" يقول: "إن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه - حين فتح الله البلاد على المسلمين من العراق والشام ومصر، وغير ذلك من الأرض - كتب إلى حكيم من حكماء العصر: إنا أناس عرب، وقد فتح الله علينا البلاد، ونريد أن نتبوأ الأرض، ونسكن البلاد والأمصار، فصف لي المدن وأهويتها ومساكنها، وما تؤثِّرُه التربة والأهوية في سكانها" (١).

وللرحلة أهمية علمية وأدبية، فهو الأدب الوحيد الذي له علاقة جمة بالعلوم الاجتماعية، وقد استفاد من هذا الطريق المؤرخون والكتاب

وأصحاب السير وعلماء الجغرافيا، ولذلك احتل أدب الرحلة في جميع لغات العالم مكانا ملموسا وجديرا بالمكانة العلمية، وقد نقلت الكتب العديدة في الرحلات إلى لغات عالمية، ولهذه الناحية الأدبية يرى البعض أن الرحلات من أهم الفنون العلمية والأدبية، ويخصون بالذكر الأدب العربي كما ذكر الدكتور شوقي ضيف في كتابه "الرحلات" يقول: "إنه خير رد على التهمة التي طالما اتهم بها هذا الأدب... أي تهمة قصوره عن فن القصة" (٢).

دواعي الرحلة وعواملها الرئيسية:

كما ذكرنا أن الإسلام قد حث على السفر ولذلك قصر للمسافر الصلوات والصيام، فانطلق الرحالة هناك وهناك لطلب العلم والاستفادة من العلماء في العلوم الشرعية والمهمات الدينية كما كان الحال في الاشتراك في مجالس الحديث والسماع من الأئمة الأعلام، وكان في فجر الإسلام عامل ديني هو جمع الحديث من أفواه الرواة المحدثين وكان الحديث في النصف الثاني من القرن الأول والنصف الأول من القرن الثاني لم يكن يؤخذ "بالسماع" و"القراءة" فحسب بل كانت تستخدم طرق المناولة والمكاتبة كما أشار إلى ذلك المؤرخون، وحتى كان اللقاء إلى جنب المعاصرة من شروط صحة الحديث عند الإمام البخاري.

وقد أتاحت الفتوحات للمسلمين وسائل السفر في البلاد المفتوحة وهيأت أسبابه، وهذا بعد ما اتسعت حدود الدولة الإسلامية وانتشرت إلى آسيا وأفريقيا وأوربا، فتحمل الرحالة مشاق السفر إلى أصقاع بعيدة في العالم للعثور على المعارف الدينية وكتابة الأحاديث وسماعها إلى رواة ومحدثين كبار، وتروي لنا كتب علم الحديث وكتب طبقات المحدثين حكايات كثيرة عن المحدثين الذين قاموا برحلات شاقة في سبيل جمع الأحاديث المحفوظة في صدور الرواة المتفرقين في أنحاء العالم الإسلامي ليجمعوها ويدونوها.

وفي جانب آخر كتب الرحلات تقدم قصصا وحكايات يكون

البعض حقيقيا ويكون البعض الآخر من نسيج الخيال، وقد اتبع الجغرافيون العرب والمسلمون طريقة ممتعة في وصف عالمهم والعوالم المحيطة بهم وأنهم عنوا بالحديث عن عادات الأمم والشعوب وطباعها، وقد ذكر ذلك حسين محمد فهيم في صدد سلسلة عالم المعرفة في أدب الرحلات "فكما تكون الرحلة واقعية، حيث يقوم الرحالة بها فعلا على أرض الواقع، متنقلا بجسده من مكان لآخر، معاينا وواصفا للمشاهد والمحسوس، يمكن للرحلة أن تكون خيالية أيضا. ففي الرحلة الخيالية يطلق الكاتب عنان تفكيره لينقله بعيدا عن واقعه وعالمه إلى أماكن أخرى، وأزمنة متباعدة." (٣) .

فمن الطبيعي أن تكون الرحلة من أهم الوسائل لطلب العلم في أوائل العصر الإسلامي، لأن الكتب كانت نادرة، وكانت الدراسة العملية مقام المراجع والمؤلفات اليوم،.وكان رجال العلم ينتقلون من إقليم إلى آخر يدرسون على مشاهير الأساتذة ويلتقون بأعلام المحدثين والفقهاء واللغويين والعروضيين والأطباء والفلاسفة.

ومن أهم عوامل الرحلة وأعظمها شأنا عند المسلمين هو تأدية فريضة الحج إلى بيت الله الحرام، وزيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد سجل كثير من الرحالة النابهين مشاهداتهم وارتساماتهم وأحاسيسهم، والطرق والدروب التي سلكوها والأحداث التي صادفوها في مصنفات عرفت بكتب الرحلة، وكان الحاج يجمع من رحلة إلى الحجاز فضلا عن تأدية فريضة الحج فوائد جمة، منها الالتقاء بمعظم الفقهاء والعلماء في العالم الإسلامي، ومنها المجاورة ثم التجارة ينتفعون بمكاسبها، كما كانت هناك عوامل مساعدة على الرحلة كنقل البريد وجباية الخراج وما إلى ذلك.

فإذا كان طلب العلم والحج والتجارة هي العوامل التي حرضت المسلمين على الرحلة، فإن هناك عاملا آخر دفع غير المسلمين إليها في

العصر الحديث، ألا وهي الكشوف الجغرافية والعلمية. من المعروف أن تهافت المغامرين والمكتشفين من الأوربيين والبعثات العلمية لارتياد بلاد الشرق عامة والحكومات الإسلامية بصفة خاصة إنما حدث عندما انتهى الحكم الإسلامي في الأندلس، هذا فضلا عن الكشوف الجغرافية التي بدأها البرتغال والأسبان في أوائل القرن السادس عشر، وذلك بالدوران حول قارة أفريقيا واكتشاف الأرجاء الصالحة، وكان كل أمانيهم به تدمير كل ما هو إسلامي، وفي نفس الوقت استعمار بلاد المشرق الأقصى ذات الموارد الطبيعية التي تحتاج إليها مصانع أوربا في ذلك الوقت .

**الرحلات قبل الإسلام :**

تاريخ أدب الرحلة يمتد إلى ما قبل ظهور المسيح عليه السلام بحوالي ٣٠٠ سنة.الرحلة قبل الإسلام كانت لأسباب وعوامل عديدة منها الزيارة والسياحة، والاستكشاف والتجارة، والعلم والسفارة، ومعظم الرحلات تعبر عن طريق البحر كما ذكرت عدة أقوام وطبقات وأدوارها في الرحلة .

يمكننا تقسيم الرحلات قبل الإسلام إلى ثلاثة أنواع: الرحلات الحربيَّة، والرحلات التجارية، والرحلات السفارية. وفيما يلي شيئ من التفصيل :

**الرحلات الحربية :**

كانت هذه الرحلات تتم بهدف التوسع في الأرض، والسيطرة على الأقوام الأخرى؛ لاستغلال مواردها، وفرض الحكم عليها، فإنه كان من أهداف الحرب النهب، ولا تتوفر لدينا أي من هذه هذه الرحلات للبعد الزمني، ولم تكن لهذه الرحلات أي فائدة فنيا أوعلميا .

**الرحلات التجارية :**

أما الرحلات التجارية فكان هدفها اكتشاف أسواق جديدة، وبيع وشراء قدر كبير من المنتجات والمحصولات، وتكسب الأموال، ولكن هذا النوع من الرحالين لم يذكر أي شيئ من تفاصيل رحلاتهم، ربما شغلتهم

التجارة عن تقييد كل ما شاهدوه خلال رحلاتهم ووصف البلاد التي جالوا فيها، وربما قام التجار بهذا التكتم تعمدا؛ حتى لا يتابعهم أحد، وينافسهم في تلك الأسواق الجديدة.

**الرحلات السفارية :**

الرحلة السفارية أو ما يعبر عنه بـ "الرحلة الدبلوماسية" هي رحلة تكليفية يأمر بأدائها الحكومة، أو من يمثلها، والسفارة التي نراها في عصرنا الحاضر كوسيلة مهمة للتبادل وتوطيد العلاقات التجارية والحربية وما إلى ذلك يرجع أصلها إلى الزمن القديم عندما كانت الدول القديمة توظف السفارات، لنقل الرسائل المتبادلة بين دولتين، أو بين حاكم الدولة وأحد ولاته، وهذه الرسالة ربما تكون شفوية وربما مكتوبة، ولكن السفير في تلك الفترة لم يكن يؤدي دورا مرسوما وإنما كانت وظيفته مجرد حمل الرسالة وتوصيلها، ولم تكن هذه الرحلة منتظمة، بل كانت حسبما يرغب الحاكم، فلذا تحمل هذه الرحلات رؤية قاصرة ومحدودة في نطاق ضيق.

**الرحلات في العصر الإسلامي :**

منذ أوائل العصر الإسلامي كانت الرحلة تختص وترتبط بعلم تقويم البلدان أو علم الجغرافيا، لأن الرحالة من المسلمين قد عنوا عناية خاصة بهذا الجانب بوصف المدن والبلدان وذكر طرقها وشعابها، وجوها ومناخها، ونباتاتها ورياحينها وأزهارها، كما نحى الرحالة بتقويم البلدان لمعرفة الطرق إلى مكة لأداء فريضة الحج وغيرها لأهداف التجارة وكسب المعاش.

وفي العصر الإسلامي أيضا يمكننا تقسيم الرحلات إلى: رحلات الجهاد، والرحلات العلمية والدينية، والرحلات التجارية، والرحلات السفارية، والملاحظ أن الإسلام غير مفهوم الرحلات ووضع لها حدودا شرعية.

## رحلات الجهاد أو الفتوحات الإسلامية :

إن الإسلام قد غير مفهوم الرحلة الحربية التي كانت تستخدم بمعنى القتال للسلب والنهب في فترة قبل الإسلام، إلى وضع مفهوم عالمي لفلسفة القتال، حيث جعل للقتال أسسا واضحة، وأهدافا مشروعة، وشروطا ومصالح إنسانية نبيلة يجب أن تحترم، لقد جعل الإسلام من الجهاد فريضة واجبة على كل مسلم قادر، إما لدفع العدوان، أو عندما توضع العقبات والعراقيل أمام نشر الدين الإسلامي، ومنع وصوله إلى الناس لإخراجهم من ظلمات الجهل إلى نور المعرفة ورحابة العلم .

كان قادة الجيوش الإسلامية يقومون بوصف المناطق التي سوف تكون ميدانا جديدا للفتوحات الإسلامية، ويكتب كل قائد تقريره، ويرفعه إلى الخليفة مباشرة، وكذلك كان يفعل العمال والولاة المعينون على البلاد المفتوحة، بعد إتمام فتحها، واستتباب الأمن فيها واستقرار المسلمين بها .

لقد كانت الفتوحات الإسلامية أول رحلة عربية وإسلامية كبرى حول العالم القديم، بل هي عبارة عن مجموعة من الرحلات المتواصلة. وكان لهذه الفتوحات أثرها في نشر الدين الإسلامي في العالم، كما سهلت الفتوحات الإسلامية أسباب الرحلة للتجار والدعاة إلى الدين الإسلامي، حيث فرضت الدولة الإسلامية سيطرتها على الطرق الكبرى، بين الأقاليم المختلفة . (يتبع)

---

(١) المسعودي، أبو الحسن علي، مروج الذهب ومعادن الجوهر، المكتبة الشاملة، الإصدار: ٣.٢٨، ص ١٩٣/١ .

(٢) ضيف شوقي، الرحلات، دارالمعارف، القاهرة، ط٤، ١٩٥٦، ص/٦ .

(٣) فهيم، حسين محمد، أدب الرحلات، عالم المعرفة، الكويت، ١٩٨٩م، الطبعة غير مذكورة، ص١٥٠ .

# تفسير القرآن الكريم للعلامة السيد سليمان الندوي

## (تفسير القرآن بالقرآن)

## (التوبة ، يونس ، هود)

جمع وترتيب : محمد فرمان الندوي

**بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ :**

قال العلامة الندوي : إنهم ظاهروا على المسلمين الانقضاء .

**فَإِذَا انْسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ :**

قال العلامة الندوي : الذين ينقضون العهد كما يدل آخره

**وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ :**

الطعن في دين المسلمين ، ومنه سب بنبيهم يخرج من الدين .

**أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ :**

قال الله تعالى : ﴿الم ۞ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لاَ يُفْتَنُونَ ۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴾ (سورة العنكبوت الآيتان/٢ – ٣) .

**اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ :**

قال الله تعالى : ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (سورة آل عمران الآية/٦٤) .

**يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ :**

قال الله تعالى : ﴿وَلاَ يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (سورة آل عمران الآية/١٨٠) .

**إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا :**

قال العلامة الندوي : بدعة حدثت في عهد الكفر .

**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ :**

نزلت في رجب عام تسع من الهجرة .

**وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ :**

يدل على أن الصدقات تجمع عند الأمير.

**وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ :**

قال الله تعالى : ﴿الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.(سورة التوبة الآية/٦٧) .

**نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ .....:**

قال الله تعالى : ﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا ، إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (سورة السجدة الآية/١٤) .

**اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ :**

نزلت هذه الآية بمناسبة غزوة تبوك .

**سورة يونس :**

عمود السورة : إن الأمة يأتي عذابها إذا عصت ، وتنجو إذا آمنت .

**إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ :**

قال الله تعالى : ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ (سورة السجدة الآية/٤) .

**هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا :**

قال الله تعالى : ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (سورة البقرة الآية/١٨٩) .

**وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا :**

قال الله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِنِعْمَتِ اللَّهِ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ❖ وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ

كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلاَّ كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ (سورة لقمان الآية/٣٢)

وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لاَ يَضُرُّهُمْ وَلاَ يَنْفَعُهُمْ :

قال الله تعالى : ﴿أَلاَ لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ (سورة الزمر الآية/٣) .

﴿قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ﴾ .

قال الله تعالى : ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِي الأَرْضِ أَمْ بِظَاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾

وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي :

أي تفصيل التوراة .

وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ :

قال الله تعالى : ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ لاَ نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ (سورة القصص الآية/٥٥) .

وقال : ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ❖ لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ❖ وَلاَ أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ❖ وَلاَ أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ❖ وَلاَ أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ❖ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ (سورة الكافرون الآيات/١ – ٦) .

قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِنْهُ حَرَامًا وَحَلاَلاً :

قال الله تعالى : ﴿وَلاَ تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلاَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ﴾ (سورة النمل الآية/١١٦) .

فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ .... :

قال العلامة الندوي : وأمر الشك عندي أن ما أنزل إن كان حقاً ، فالحق أحق أن يتبع ، وهو يجذب إليه القلوب ، فلم يكفر به الذين

يكفرون .

لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ :

قال الله تعالى : ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْتَقِمُونَ ❖ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلاَ تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ❖ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ (سورة السجدة الآية/ ٢٤) .

إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ :

قال الله تعالى : ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (سورة البقرة الآية/٧) .

يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي :

قال الله تعالى : ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ٥ لاَ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ❖ وَلاَ أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ❖ وَلاَ أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ❖ وَلاَ أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ❖ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾ (سورة الكافرون الآية/١ – ٦) .

## سورة هود

هذه السورة تسلية للنبي ﷺ .

أَلاَ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ :

قال الله تعالى : ﴿لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ❖ أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ❖ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لاَ نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾ (سورة الزخرف الآية/٧٨ – ٨٠) .

وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ :

قال الله تعالى : ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ ❖ قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلاَلٍ﴾ (سورة الغافرالآية/٥٠) .

وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ :

قال الله تعالى : ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهُ السَّاحِرُ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ❖ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ﴾ (سورة الزخرف

الآية/٥٠) .

أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ :

قال الله تعالى : ﴿وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا لِيُنْذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ﴾ (سورة الأحقاف الآية/١٢) .

وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا :

قال الله تعالى : ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلاَّ مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلاَ تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾ (سورة المؤمنون الآية/٢٧) .

وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً :

قال الله تعالى : ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ٥ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ❖ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ (سورة نوح الآيتان/١١ – ١٢) .

وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ :

قال الله تعالى : ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابُ يَوْمِ الظُّلَّةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ (سورة الشعراء الآية/١٨٩) .

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ :

قال الله تعالى : ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ❖ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ﴾ (سورة المؤمنون الآية/٤٥ – ٤٦) .

فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ :

قال الله تعالى : ﴿لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لا يَسْمَعُونَ﴾ (سورة الأنبياء الآية/١٠٠) .

وَإِنَّ كُلاًّ لَمَّا لَيُوَفِّيَنَّهُمْ رَبُّكَ أَعْمَالَهُمْ : لما بمعنى إلاّ .

❖❖❖

إلى رحمة الله تعالى :

## الحاج عبد الرزاق النصير آبادي في ذمة الله تعالى

قلم التحرير

فوجئت الأسرة الندوية والحسنية بوفاة فضيلة الحاج عبدالرزاق النصير آبادي يوم الخميس الرابع من شهر رمضان لعام ١٤٣٥ هـ الموافق ٣ / من شهر يوليو ٢٠١٤م ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

كان الحاج عبد الرزاق قد لازم سماحة العلامة الإمام ابي الحسن علي الندوي رحمه الله كخادم له منذ عام ستين من القرن المنصرم ، وظل يساعده ويخدمه في السفر والحضر وفي الحل والترحال حتى وفاة الإمام العلامة الندوي رحمه الله في آخر يوم من ١٩٩٩م إلى أربعين عاما من غير انقطاع ، فإذا كان الإمام الندوي يقيم في مقره بندوة العلماء كان يخدمه ويساعده مساعدة غالية في كثير من الشئون ، وكان من عادة الإمام الندوي رحمه الله أن يقيم في شهر رمضان كل عام في قريته بدارة الشيخ علم الله الحسني وتقيم معه جماعات من أهل العلم والدين لتلقي التربية الدينية منه ، وقد كان يبلغ عدد المعتكفين مئات ويتجاوزها أحيانا ، فكان دور الحاج عبد الرزاق في خدمة الضيوف وإنجاز حاجاتهم وإتاحة فرص اللقاء لهم مع العلامة الندوي دورا طليعيا ، ويكون له نشاط ملحوظ في تلك الأيام .

واتباعا لهذه العادة الرمضانية كان مستمراً في عمله مع الضيوف والنازلين في دارة الشيخ علم الله الحسني ومسجده مع خلف سماحة الإمام الندوي العلامة الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي ، ورغم أنه كان مريضا بعض الشيئ إلا أنه كان حاضرا في الدارة مع الضيوف كالعادة مع بدء شهر رمضان لهذا العام ، إذ فوجئ الناس بغيابه من مقره ، وبعد بحث عنه في المناطق المجاورة لم يوجد إلا في حالة المغادرة إلى الآخرة على بعد من مقره وعلى مقرب من السكة الحديدية للقطار ، ولم يعثر على جثته إلا في أحد المستشفيات ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

وفي اليوم التالي ، يوم الجمعة صلى عليه العلامة الشيخ محمد الرابع الحسني الندوي مع حشد كبير من الجماعات الحاضرة في دارة الشيخ علم الله الحسني ، ودفن في مقبرة الدارة على قرب من شاطئ نهر سئي .

رحمه الله تعالى رحمة واسعة وغفر له زلاته ، وأسكنه فسيح جناته ، وألهم أهله ومشايخه وذويه الصبر والسلوان .

يا أَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ٱرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً فَادْخُلِي فِي عِبَادِي وَٱدْخُلِي جَنَّتِي .

## الأخ الأستاذ محمود الحسن الندوي في ذمة الله تعالى

استأثرت رحمة الله تعالى الأخ بالأستاذ محمود الحسن الندوي عميد مدرسة إصلاح

المسلمين في قرية نواوان ، بمديرية رائ بريلي ، الهند . وهي من المدارس الملحقة بدار العلوم لندوة العلماء، كما كان عميدا لمدرسة بدر العلوم بقرية سدهونا بمديرية رائ بريلي ، الملحقة بدار العلوم أيضا .

وذلك عقب مرض أصيب به قبل مدة ، فأدى إلى تعطل الكلية التي سبب وفاته في سن الشباب ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ، حدث ذلك في ليلة الخميس ١٩/ من شهر يونيو ٢٠١٤م الموافق ٢٠/ من شهر شعبان ١٤٣٥ هـ .

ونحن إذ نعزي أهله ووالديه وأعضاء أسرته وأوساط العلم والدين وتلاميذه ، ندعو الله سبحانه أن يغفر له زلاته ، ويسكنه فسيح جناته ويلهم الجميع الصبر والسلوان .

## الأخ العزيز صلاح الدين الغجراتي إلى رحمة الله تعالى

انتقل إلى رحمة الله تعالى الأخ العزيز صلاح الدين بن محمد إقبال الندوي الغجراتي في سن الشباب فجاءة ، بالغا من العمر ٢١/ عاما وذلك بحادث غرق في النهر الفائض في وطنه ، يقول عنه والده فضيلة الشيخ محمد إقبال الندوي من تركيسر ، في ولاية غجرات :

" كان حافظا للقرآن ، متعلما في الصف العربي الرابع ، متصفا بالصلاح كاسمه ، شريفا خادما للوالدين ، باراً بهما ، أليفاً ودوداً لدى الأساتذة والأصدقاء ، مجتهدا في الحصول على العلم ، نشيطا مساهما في البرامج الثقافية ."

توفي الأخ العزيز في الرابع من شعبان من عام ١٤٣٥ هـ الموافق الثالث من يونيو ٢٠١٤م ، فإنا لله وإنا إليه راجعون .

وقد صلى عليه جم غفير من العلماء والطلاب وأهالي القرية وما يجاورها من القرى . وتم تدفينه قبيل صلاة العشاء في نفس اليوم في مقبرة تركيسر العامة ، غفر الله له ، وأسكنه جنانه وألهم والديه وجميع أفراد أسرته الصبر والسلوة . فإن الله مع الصابرين .

## الأخت الفاضلة فاطمة غلام محمد إلى رحمة الله تعالى

كانت المتوفاة رحمها الله تعالى أخت فضيلة الشيخ عبد الله بن إسماعيل البتيل الكافودروي، وقد توفيت في السابع من رمضان ١٤٣٥هـ بالغة من العمر ٩٢/عاما .

كانت المرحومة سيدة صالحة مواظبة على العمل بالشريعة ، صلت عليها جماعة كبيرة من العلماء وأهالي القرية وما يجاورها وكثير من تلاميذ الشيخ حفظه الله تعالى ، صلى عليها عالم القرية الصالح الحاج إسماعيل .

ونحن إذ نعزي فضيلة الشيخ عبد الله بن إسماعيل الكافودروي وأعضاء أسرته جميعا ، نبتهل إلى الله تعالى أن يغفر لها زلاتها وأسكنها فسيح جناته وألهم أهلها وذويها الصبر الجميل .